الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الجزائر والرحالة التونسيون من خلال كتاب:
خمس رحلات إلى الجزائر ١٩٠٤ /١٩٣٢ لـ
محمد صالح الجابري

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إعداد الطالبة:

- دعاء عابد

إشراف الدكتور:

أ. د. الشافعي درويش

الموسم الجامعي : ١٤٤٦ _ ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥ _٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

بعد سنوات من السهر والتعب ها أنا أقطف ثمار صبري واجتهادي

هذه اللحظة هي تتويج لكل تلك السنوات التي بذلتُ فيها كل ما أملك

وأهدي ثمرة هذا العمل إلى الله قبل كل شيء الحمد لك كما ينبغي لوجهك وعظيم سلطانك إلى نفسي الصامدة التي عبرت أشواك الطريق ولم تنحني أمام العواصف

إلى من غاب جسده وبقي اسمه نوراً يهديني أخي الحبيب **"حميدة"**

أهدي هذا النجاح والجهد كاملاً لروحه الطاهرة لقد فعلتها يا أخي من أجلك لتبتهج بي في مثواك رحمك الله بقدر ما أوجعني رحيلك وطاب مرقدك في الجنة

إلى من كانت أماً وصديقة إلى المرأة التي جعلت مني ما أنا عليه اليوم كل كلمات الشكر لن تكفيكِ **يا أمي**

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل ملاكي الطاهر وخير سند في طريقي

أبي العزيز أدامك الله عِزاً وفخراً لي

إلى يدي اليمنى ونصف روحي اخي الكبير **"شريف"** الصخرة التي أستند عليها والدعامة التي لا تميل شكراً لكونك الدرع الوافي وسندي الحاضر دائماً

إلى من بابتسامتها تتبدد كل همومي أختي **"عائشة"** مبهجة البيت وجميلة الأيام أدامكِ الله لي ضلعاً ثابتاً ورفيقة عمر

دعاء

شكر وتقدير

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم،

أما بعد:

نحمد الله العلي القدير الذي وفّقني ويسّر لي سبل العلم حتى أصل إلى إتمام هذا العمل المتواضع

ومن باب العرفان بالفضل لأهله أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف الفاضل **الشافعي درويش** الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة طيلة فترة إنجازه

كما أتوجه بشكر خاص وممتن إلى الأستاذ القدير **قادري النعاس** الذي مدّ لي يد العون وسهّل لي الصعاب وقدم لي المساعدة لإتمام هذا العمل

ويمتد شكري الخالص إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول تقييم هذا الجهد وإلى جميع أساتذتي الأفاضل

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى الذي كلل مسيرتي بالتوفيق ثم والديّ الكريمين اللذين كانا وما زالا السند والدعم الموصول بدعواتهما المباركة

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ط	طبعة
مج	مجلد
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ت	توفي
تح	تحقيق
د ت ن	دون تاريخ نشر

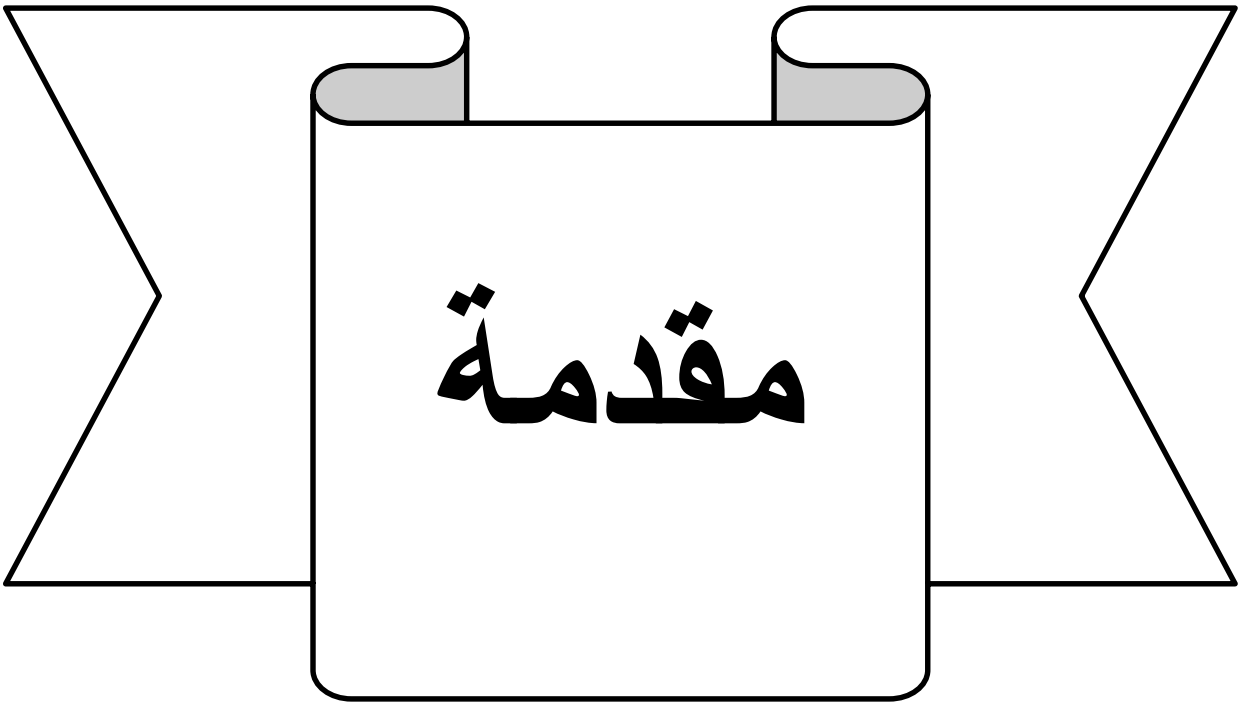
مقدمة

مقدمة:

تعد الرحلات من المصادر التاريخية المهمة التي أسهمت في توثيق أحوال المجتمعات ورصد مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية عبر مختلف العصور، إذ شكّلت وسيلة للتعارف بين الشعوب ونقل المعارف والخبرات، كما أتاحت للرحالة فرصة تسجيل مشاهداتهم وانطباعاتهم حول البلدان التي زاروها. وقد اكتسب أدب الرحلة في العصر الحديث أهمية خاصة، لكونه قدّم صورًا دقيقة نسبيًا عن واقع المجتمعات المغاربية خلال فترة الاستعمار الأوروبي، مما جعله مصدرًا تاريخيًا لا غنى عنه للباحثين في دراسة تاريخ المنطقة.

وتندرج الرحلات التونسية إلى الجزائر ضمن هذا الإطار، حيث عكست طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية التي جمعت بين الشعبين التونسي والجزائري، وسجلت مختلف التحولات التي شهدتها الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي. ويُعد كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤-١٩٣٢)» الذي قام بجمعه وتحقيقه محمد صالح الجابري من أبرز المؤلفات التي حفظت لنا نماذج من هذه الرحلات، إذ يضم شهادات لرحالة ومثقفين تونسيين زاروا الجزائر ووثقوا مشاهداتهم وانطباعاتهم حول واقعها السياسي والاجتماعي والثقافي.

جاءت مذكرتنا الموسومة بـ

الجزائر والرحالة التونسيون من خلال كتاب: خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤-١٩٣٢) لمحمد صالح الجابري ، محاولةً إبراز صورة الجزائر كما عكستها هذه الرحلات، والكشف عن قيمتها كمصدر تاريخي لفهم الأوضاع التي عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.

١. إشكالية البحث:

انطلاقًا مما سبق، تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول التساؤل الآتي:

كيف صوّر الرحالة التونسيون الجزائر من خلال كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤-١٩٣٢)»، وما القيمة التاريخية والمعرفية التي تقدمها هذه الرحلات في فهم واقع الجزائر خلال الفترة الاستعمارية؟

الأسئلة الفرعية

- ✓ ما الظروف التاريخية التي أحاطت بالرحلات التونسية إلى الجزائر خلال الفترة المدروسة؟
- ✓ من هو محمد صالح الجابري وما طبيعة إسهامه في جمع وتحقيق هذه الرحلات؟
- ✓ ما أبرز القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية التي تناولتها الرحلات؟
- ✓ كيف ظهرت صورة الجزائر في كتابات الرحالة التونسيين؟
- ✓ ما القيمة التاريخية والمنهجية التي يقدمها الكتاب للباحث في التاريخ؟

٢. أهمية الموضوع العلمية:

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يسلط الضوء على مصدر تاريخي مهم يتمثل في أدب الرحلة، ويسهم في إبراز طبيعة العلاقات الثقافية والفكرية بين تونس والجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، كما يساعد على التعرف إلى صورة المجتمع الجزائري في نظر الرحالة التونسيين، وإبراز القيمة التاريخية والمعرفية للرحلات باعتبارها وثائق تسجل جوانب من الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر.

٣. أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: الأسباب الذاتية

- ✓ اهتمامنا بتاريخ المغرب العربي والعلاقات الجزائرية التونسية.

- ✓ الرغبة في دراسة أدب الرحلة بوصفه مصدرًا من مصادر الكتابة التاريخية.
- ✓ اقتراح الأستاذ المشرف لهذا الموضوع، الأمر الذي أثار اهتمامنا وشجعنا على الخوض في تفاصيله.

ثانياً: الأسباب الموضوعية:

- ✓ أهمية كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر» باعتباره مصدرًا يجمع عددًا من الرحلات التونسية إلى الجزائر.
- ✓ قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تناولت هذا الكتاب بالدراسة والتحليل.
- ✓ إبراز صورة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من خلال شهادات معاصرة للأحداث.

٤. المنهج المتبع:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي بوصفه المنهج الأنسب لمعالجة موضوع البحث، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي في تحليل مضمون الرحلات واستخراج مختلف الدلالات التاريخية الواردة فيها، كما تم توظيف منهج النقد التاريخي من خلال دراسة الكتاب دراسة خارجية وداخلية قصد الوقوف على ظروف إنتاجه ومضامينه وقيمته العلمية.

٥. عرض الخطة:

اقتضت طبيعة الموضوع والإشكالية المطروحة تقسيم هذه المذكرة إلى فصلين رئيسيين ، يسبقها مدخل تمهيدي، وتُختتم بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع والملاحق.

خصص الفصل الأول التمهيدي، الموسوم بـ : **الأوضاع العامة في الجزائر وتونس والإطار النظري للرحلة (١٩٠٠-١٩٣٢م)** ، لتقديم الإطار التاريخي والنظري للدراسة، حيث تم التطرق أولًا إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في كل من الجزائر

وتونس خلال الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٠٠ و١٩٣٢م، ثم تناول مفهوم الرحلة وأهميتها بوصفها أداة معرفية ومصدرًا من مصادر الكتابة التاريخية.

أما الفصل الثاني، المعنون بـ **:محمد صالح الجابري وكتابه خمس رحلات إلى الجزائر** فقد خصص للتعريف بمحمد صالح الجابري من خلال عرض أهم محطات حياته ومساره الأدبي والفكري، وبيان اهتمامه بالرحلات ودوافع كتابته، ثم دراسة كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر» من خلال قراءة خارجية تناولت ظروف التأليف وسياقه التاريخي، وقراءة داخلية ركزت على تحليل مضمون الكتاب وبنيته العامة.

في حين جاء الفصل الثالث تحت عنوان **:صورة الجزائر الاجتماعية والثقافية في رؤية محمد صالح الجابري** ، وتم فيه الوقوف على أبرز المظاهر الاجتماعية والثقافية التي سجلتها الرحلات، من خلال دراسة الواقع الاجتماعي والعادات والتقاليد وصورة المرأة والمظاهر الثقافية، كما تناول مظاهر الحياة العلمية والفكرية والعمرانية ووصف المدن الجزائرية، إضافة إلى إبراز صورة النخب الفكرية والسياسية من خلال اللقاءات التي جمعَت الرحالة بالعلماء والمصلحين والشخصيات السياسية التي ورد ذكرها في الرحلات.

٦. الدراسات السابقة:

بالرغم من أهمية الأديب والباحث محمد صالح الجابري وإسهاماته في خدمة الأدب الجزائري، إلا أن الدراسات الأكاديمية التي تناولت شخصيته وآثاره العلمية والأدبية تبقى محدودة ونادرة، وهو ما صعّب عملية العثور على دراسات سابقة متخصصة تخدم موضوع البحث بصورة مباشرة. ومن بين الدراسات التي أمكن الوقوف عليها مذكرة الماستر الموسومة بـ: "**قراءة في كتاب الأدب الجزائري في تونس لمحمد صالح الجابري**" **من إعداد وسيلة مجاهد وزينب ميدون سنة ٢٠٢٢**، والتي انصبت على دراسة وتحليل كتاب "الأدب

الجزائري في تونس"، مبرزةً قيمته العلمية ودوره في توثيق جهود الأدباء الجزائريين المهاجرين إلى تونس وإسهاماتهم في الحياة الثقافية والأدبية.

وقد أفادت هذه الدراسة في التعرف إلى منهج الجابري في التأريخ للأدب الجزائري، غير أنها اقتصرت على دراسة مؤلف واحد من مؤلفاته، ولم تتناول حياته ومسيرته الفكرية والأدبية بصورة شاملة، وهو ما يميز الدراسة الحالية عنها.

٧. عرض ونقد أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت الدراسة أساسًا على كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤-١٩٣٢)» لمحمد صالح الجابري، وهو المصدر الرئيس للبحث، إذ يضم مجموعة من الرحلات التونسية التي تقدم أوصافًا ومشاهدات مباشرة عن الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. وتكمن أهمية هذا المصدر في طبيعته التوثيقية، غير أنه يبقى خاضعًا لخصوصية الرؤية الذاتية للرحالة، مما استوجب التعامل معه بمنهج نقدي ومقارنته بمراجع أخرى.

كما تم الاعتماد على مجموعة من المراجع المتعلقة بأدب الرحلة، وتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وتاريخ الحركة الفكرية والثقافية بالمغرب العربي، إضافة إلى بعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت أدب الرحلة ومناهج دراسته.

٨. الصعوبات:

واجهت الدراسة جملة من الصعوبات، من أبرزها:

- ✓ محدودية الدراسات المتخصصة حول الكتاب محل الدراسة.
- ✓ صعوبة الحصول على بعض المراجع المتعلقة بأصحاب الرحلات.
- ✓ تشتت المعلومات المتعلقة ببعض الشخصيات الواردة في الرحلات.
- ✓ الحاجة إلى الربط بين المعطيات الواردة في الرحلات والسياق التاريخي العام للفترة المدروسة.

الفصل الأول (المدخل التمهيدي) :

الاوضاع العامة في الجزائر وتونس والاطار النظري للرحلة ١٩٠٠_ ١٩٣٢ :

المبحث الاول: الإطار العام للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لتونس والجزائر خلال اوائل القرن العشرين :

المطلب الاول: الاوضاع العامة في الجزائر ١٩٠٠_ ١٩٣٢م.

المطلب الثاني: الاوضاع العامة في تونس ١٩٠٠_ ١٩٣٢م.

المبحث الثالث: مفهوم الرحلة وأهميتها الدراسات التاريخية:

المطلب الاول: الرحلة كمفهوم وأداة معرفية.

المطلب الثاني: اهمية ادب الرحلات والرحلة كمصدر من مصادر التاريخ.

يشكل مطلع القرن العشرين مرحلة مفصلية في تاريخ كلٍ من الجزائر وتونس، حيث شهدت هذه الفترة تحولات عميقة على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية في ظلّ الهيمنة الاستعمارية. فقد انعكست السياسات الاستعمارية الفرنسية على مختلف البُنى الداخلية للمجتمعين الجزائري والتونسي، مما أفرز اوضاعًا مركبة تداخلت فيها مظاهر التحديث مع أشكال الهيمنة والسيطرة.

وتكمن اهمية دراسة هذه الأوضاع العامة لفهم الخلفية التاريخية التي كُتبت في ظلّها الرحلات، باعتبارها نصوصًا تعكس رؤية أصحابها للواقع الذي عايشوه. كما يُعدّ أدب الرحلات من المصادر التاريخية المهمة التي تتيح للباحث الاطلاع على تفاصيل الحياة اليومية والتمثلات الذهنية خلال تلك المرحلة.

ومن هذا المنطلق، نسعى هذا الفصل إلى تقديم اطار تمهيدي يتناول الأوضاع العامة في الجزائر وتونس خلال الفترة (١٩٠٠–١٩٣٢م)، إلى جانب التطرق إلى المفهوم النظري للرحلة وأهميتها كأداة معرفية ومصدر من مصادر الكتابة التاريخية، وذلك تمهيدًا لفهم اعمق لمضامين الرحلات موضوع الدراسة.

المبحث الاول: الإطار العام للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لتونس والجزائر خلال اوائل القرن العشرين:

المطلب الاول: الاوضاع العامة في الجزائر ١٩٠٠_ ١٩٣٢م:

أ. الأوضاع السياسية :

لقد اتبع الاستعمار الفرنسي سياسة تعسفية عنصرية ضد الجزائريين، وهذا منذ البدايات الأولى لاحتلاله الجزائر، ذلك ما دفع جزء من سكانها الى الهجرة نحو الخارج، ولقد ازدادت تلك الهجرات بحدة بعد صدور قانون التجنيد الاجباري عام ١٩١٢، وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى ١٩١٤_١٩١٨م سعت فرنسا الى كسب الجزائريين في الانضمام الى صفها في جبهات الحرب واصدرت مراسيم اغرائية أهمها مرسوم ١٣ جانفي ١٩١٤م. [١] كانت تهدف من خلال هذه السياسة الى تحقيق الاهداف التالية:

- ✓ جعل الجزائر مدينة فرنسية بكل ما يعنيه ذلك من ابعاد.
- ✓ طمس التاريخ والشخصية الوطنية الجزائرية وازالتها من الاعتبار.
- ✓ قهر أي نوع من انواع المقاومة التي يمكن ان تزعج امن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الاساليب والوسائل للوصول الى ذلك الهدف.[٢]

وتعتبر الفترة الممتدة من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٣٩م فترة تحول هام في تاريخ وكفاح الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي ، حيص شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار بعد ان اقتنعت بان الاعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة والوسائل العسكرية البسيطة ، لم يكون كافيا وحده لتحرير البلاد واجبار سلطات الاحتلال على

[١] محمد حفظ الله ، الاوضاع العامة في الجزائر خلال الفترة ١٨٤٧_١٩٥٤ وعلاقتها بنشأة الصحافة ، مجلة المعيار، مجلد ٢٧، العدد ٢، ٢٠٢٣، ص١٤٨

[٢] ابو القاسم سعد الله، أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج٢، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٨، ص٨٩

الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، فكان من اهم وسائل الكفاح الجديدة التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية مع نهاية القرن ١٩ وبداية القرن العشرين الجمعيات والنوادي الثقافية التي انشأتها وطورت من نشاطاتها.[١]

كما أدى هذا الى تزايد نشاط قادة الاحزاب الوطنية والطبقة التي اظهرت رفضها للسياسة الاستعمارية وتصرفا الجالية الاوروبية بالجزائر.[٢]

ب. الاوضاع الفكرية و الثقافية:

شهدت الجزائر نهضة ثقافية واسعة بداية من القرن الماضي وازدادت حيوية ونشاطا مع فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وإن كان طابع نشاطها الثقافي يغلب عليه التقليد، اي تقليد الفرنسيين في نشاطاتهم، فقد أنشأ هؤلاء مكتبات ومتاحف وجمعيات علمية ومسارح وسينما وإذاعة، وفرق موسيقية، إلا أن الجزائريين واجهتهم صعوبات سياسية ولغوية وتعليمية وفنية، فالقوانين الفرنسية كانت لا تسمح بحرية التعبير ولا الحركة، وحتى من يوجه له هذا الانتاج والنشاط الثقافي قد أضرت به الامية ، وشهدت الساحة الجزائرية ميلاد نوادي ثقافية عديدة وبروز جمعيات محلية لأنشطة ثقافية مختلفة كالموسيقى والمسرح .[٣]

ت. الأوضاع الاقتصادية:

استخدمت فرنسا خلال الحقبة الاستعمارية اساليب مختلفة للاستغلال ونهب الأراضي وتدمير البنية التحتية للاقتصاد الجزائري. وحتى وإن كان المجال لا يتسع لتناول جملة هذه الأساليب، فإنني سأحاول ابراز الحالة الاقتصادية للجزائر بما يتيسر لي من أرقام وتقارير

[١] محفوظ عاشور، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر، كلية العلوم الانسانية، جامعة البليدة _٢، ٢٠٢٣/٢٠٢٢، ص١٢٧

[٢] عمار بحوص، أسباب الهجرة الى فرنسا ، مجلة الثقافة ، ع ٢٣، افريل _ماي ١٩٧٣، ص٣١

[٣] نايت قاسي الياس، حسين عبد الستار، واقع الجزائر فيما بين ١٩٢٧_١٩٣٠، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفركية، المجلد ١٢، العدد ٠٢، جويلية ٢٠٢٠ ، ص٣٥

عن فترة ما قبل الاحتفالات لم يكن الواقع الاقتصادي للجزائر بأحسن حال عن واقعها السياسي، فقد كان اقتصاد الجزائر مرتبط باقتصاد فرنسا، بل مكملا له ولا أدل على ذلك من حالة التفقير التي أصابته جراء ألازمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٢٩.[١]

كما تظهر سياسة التفقير التي اتبعتها فرنسا في الجزائر بعد الاحتلال مباشرة، في انها قامت بمصادرة معظم الاراضي الفلاحية واجودها من الجزائريين وقامت بتوزيعها على المستعمرين الاوروبيين الذين جلبتهم معها من مختلف البلاد الاوروبية، ذلك من اجل توطيد عملية الاحتلال ضد مقاومة الشعب الجزائري العربي المسلم الذي لم يقبل الاستسلام وواصل الكفاح ضده بكل ما يستطيع وما يملك من قوة.[٢]

ث. الأوضاع الاجتماعية:

ساءت احوال الجزائريين الاجتماعية بعد ما استعملت السلطات الاستعمارية كل الاساليب الدنئية من اجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي وجدتها في الجزائر، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والاوروبية سعيا منها لتحقيق مشروعها الاستيطاني[٣].

كما اتبع اسلوب الابادة والتجويع بعد تجريد اغلبية الاهالي من اراضيهم الخصبة بدعوى ان ملكيتها غير معروفة، حيث انه حتى سنة ١٩١٧ استولت ادارة الاستعمار على اكثر من ٨٩٧٠٠٠ هكتار من مجموع الاراضي الصالحة للفلاحة، وفي ذلك يقول فيليب ميناي في تقرير يصف حالة المجتمع الجزائري آنذاك:"" ان الظاهرة الثابتة بين الاهالي هي

[١] نايت قاسي الياس، حسين عبد الستار، المرجع السابق ، ص٣٣

[٢] تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣١_١٩٥٦، ورؤسائه الثلاثة، موفم للنشر، ٢٠٠٤، ص٦٥

[٣] عبد المجيد بن عدة، مظاهر الاصلاح الديني والاجتماعي، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر، ١٩٩٣، ص١٦

البؤس فهناك طوابير للمتسولين والبيوت القصديرية والاكواخ ومناظر العديد من الناس وهم يهيمنون على وجوههم بدون هدف يمشوون حفاة في الوحل والغبار"".[١]

المطلب الثاني: الاوضاع العامة في تونس ١٩٠٠_ ١٩٣٢م:

أ. الأوضاع السياسية :

بعد احتلال الجزائر خضعت تونس للحماية الاستعمارية الفرنسية في ١٢ ماي ١٨٨١ م، ولكن اعتبارها محمية فرنسية خفف عن فرنسا وطأة وآثار الاستعمار العسكري المباشر متعظة بتجربة الجزائر، الا انها لاقت مقاومة مسلحة كانت أغلبها شعبية، عرفت الذروة في فترات وخفوتا في أخرى. نتيجة أوضاع محلية وإقليمية، ولم تظهر الحركة الوطنية في صورة منظمة الا في أوائل القرن العشرين.[٢]

بدأت النخبة المثقفة في تونس نضالها السياسي رافضة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية ولكن بوسائل سلمية، وهي البلد المغاربي الاكثر تأثرا بالمشرق العربي[٣] ، فالدين الاسلامي كان أحد العوامل الأساسية في رفض الاستعمار الفرنسي، سواء أثناء المقاومة الشعبية المسلحة، او خلال مرحلة المقاومة السياسية التي مثلها العلماء والتونسيون المتخرجون من المدارس الفرنسية، ولكن في وقت لم يكن الدين وحده المحرك الأساسي للمقاومة بشقيها، فنظام الحماية أفرز تناقضات سياسية واقتصادية واجتماعية [٤] .

كما ساهم التعليم العصري الفرنسي هو الآخر في نشر الأفكار الثورية الرافضة للاستبداد و الذل فوقفت الطبقة التونسية المثقفة ضد سياسة الاستعمار و الإقصاء، وأضاف

[١] محمد العربي ولد خليفة، الاحتلال الاستيطاني ، منشورات تالة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ص٦٠_٦١

[٢] الحبيب ثامر، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة ، د س ن، ص ص٨٩_٩٠

[٣] Charles André julien, L'Afrique du nord en marche nationalisme et souveraineté française, ed, Julliard, France, 1972, p 63

[٤] علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية ١٩٣٤-١٩٠٤ ، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٩٩، ص ص ١١٠- ١١٢

الشبان التونسيون معارفهم الثقافية التي استمدوها من التعليم الفرنسي إلى جانب إخوانهم المثقفين باللغة العربية مما زاد الطبقة السياسية قوة و ادى إلى بلورة الحركة الوطنية التونسية ، ففي 23 ديسمبر ١٩٠٥م تأسست جمعية قدماء تلامذة المعهد الصادقي او "الصادقية" برئاسة "خير الله بن مصطفى"، تهدف إلى التجديد و تغيير ذهنية الشعب التونسي والإسراع نحو التقدم و الأخذ بأفكار عصره.[١]

و في بداية سنة ١٩٠٧م، اسس "البشير صفر"[٢] ، و"علي باشا حامبة "الحزب المعروف باسم "حركة تونس الفتاة"، للدفاع عن تونس و أصدروا جريدة أسبوعية" التونسي Le " "tunisien، هي اول حركة سياسية منظمة لعبت دورا بارزا قويا في محاربة الاستعمار بتونس بين سنتي ١٩٠٧-١٩١٢م، لما كانت تتمتع به من تأييد شعبي قوي جعلها تساهم في دفع النضال إلى الأمام من خلال تنظيم الجماهير في أطر حزبية ، ولقد ساعدت الصحف الناطقة بخط الحزب الدستوري على تصلب المقاومة ضد نظام الحماية وفي هذا الصدد نشرت جريدة صوت التونسي في أكتوبر ١٩٣٠ مقال كتبه الشاذلي خير الله مما جاء فيه : "قد حافظ الشعب على خاصياته البدائية وطبيعته الخاصة اللتين تؤهلانه، عند الاقتضاء لان يزيل الحجاب ويرفع عاليا راية الاستقلال"... [٣]

---

[١] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص١٣٢

[٢] **البشير صفر ١٨٦٣ – ١٩١٧:** هو محمد بشير صفر، رئيس جماعة الحاضرة، تعلم بجامع الزيتونة وانتسب إلى الفوج الأول للمدرسة الصادقية، توجه إلى فرنسا لمواصلة دراسة الهندسة والرياضيات، غير أنه انقطع سنة دخول الاستعمار في صائفة ١٨٨١ عند استقراره ساهم في تأسيس الحاضرة، كما كان المؤسس الحقيقي للجمعية الخلدونية أما على الصعيد الإداري فقد أشرف على قسم المحاسبات بالوزارة الكبرى بين ١٨٨٢ – ١٨٩١م سمي رئيسا لجمعية الأوقاف في جويلية ١٩٠٠م، يقي بها حتى سنة ١٩٠٨م موعد تعيينه على رأس عمالة سوسة، توفي سنة ١٩١٧م، **أنظر:** محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ١٩٠٠– ١٩٦٢ م، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص ٨٤

[٣] الطاهر بن عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠– ١٩٠٠م ، ط ٢ ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ١٩٧٥م، ص ص ٣٩-٤١

وساعدت تصرفات السلطة الفرنسية نفسها على انتشار الروح الوطنية، وحدثت في تونس حادثتان كبيرتان كان لهما أثر فعال في عودة انتشار الوعي القومي، فالحادثة الأولى تتمثل في انعقاد المؤتمر الافخارستي بعاصمة تونس في ماي ١٩٣٠ م، أما الحادثة الثانية، فهي الإعداد للاحتفال بذكرى خمسينية الحماية وإزاء هذه التصرفات اجتمعت الطبقة المثقفة التونسية في مؤتمر عام في٣٠ أكتوبر ١٩٣٠ م، قررت فيه مضاعفة نشاطها في مقاومة الاستعمار الفرنسي.[١]

ب. الاوضاع الفكرية و الثقافية :

تميزت تونس قبل الحماية الفرنسية سنة ١٨٨١م أنها كانت مركزا ثقافيا و حضاريا هاما، و معاهدها كانت تستقبل الطلبة التونسيين والعرب و المسلمين من عدّة جهات[٢]، كما كان لجامع الزيتونة دورا ممتازا في نشر الثقافة، حيث فتحت أبوابها لكل طالب العلم والمعرفة سواء المواصلة التعليم أو الحضور المحاضرات.[٣]

لكن في ظل الحماية الفرنسية تحطمت النهضة العظيمة التي عمت تونس في الماضي، وعلى ذلك أصيب التعليم الوطني منذ سنة ١٨٨١م باضطهاد وضرب المؤسسات القائمة بدل المساعدة على تطويرها وحين لم تستطع إلغاءها نظرا لمقاومة التونسيين، قامت بتجاهل مدارس التعليم العربي ومنعت عنها الدعم المالي، وانتقل إلى الاعتماد على موارده الخاصة[٤]، كما منعت التعليم بالعربية في المدارس التونسية وسيطرت عليه فأخضعته لنظم

[١] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص ٥٠٢ –٥٠٣

[٢] الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص ٩٠– ٨٩

[٣] عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص ص ٥٨–٥٧

[٤] المصدر نفسه، ص٣٣

فرنسية حتى أصبح الطالب يتقن الفرنسية ويفقه أسرارها ويتذوق أدبها، أما أدبه ولغته فهي أمور بعيدة عنه.[١]

ولم تقف السياسة الاستعمارية عند التعليم، بل أخذت تحد من حريات التونسيين فصادرت الصحف التونسية وحق التجمع لا وجود له، وفي سنة ١٩٠٨م حرمت سلطة الحماية طلبة الزيتونة حتى من حقهم تكوين جمعية.[٢]

ت. الأوضاع الاقتصادية:

بفرض هيمنتها على تونس سنة ١٨٨١م، لجات سلطة الحماية إلى تشجيع الهجرة الفرنسية، والأوروبية نحو تونس، وسنت قانونا للتجنس بالجنسية الفرنسية حتى يسهل التوظيف في الإدارة والسلك الحكومي، فتنوعت الوظائف في سائر المرافق خاصة منها في القطاعين الزراعي والصناعي.[٣]

لذلك تم الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة تحت حجج ومبررات واهية مثل التهاون في استثمارها لتمكين الفرنسيين منها فاحتكر المالكون حوالي 90%من الأراضي الزراعية التي تم الاستيلاء عليها ومصادرتها بعد انتصاب الحماية.[٤]

وقد عرفت تونس تراجعا في انتاج المحاصيل الزراعية خلال سنوات ١٩١٩ – ١٩٢٠م خاصة في القمح والشعير إلى ١٦٦١٥٠ طن و ٨٨٥٥٠ طن، بعدما كان معدل مردود

[١] الطاهر بن عبد الله ، المرجع السابق، ص ص ٤٤_٤٥

[٢] يوسف مناصرية الحزب الحر الدستوري التونسي ١٩١٩_ ١٩٣٤م ، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٨٩م، ص ٤٠

[٣] عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص ٤٧

[٤] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص ١٣٤ _١٣٥

المحصولين سنتي ١٩١٥ – ١٩١٨م تباعا ٢٢٤٧٥٠ طن و ١٩٨٠٠٠ طن، مضاف لذلك غلاء المعيشة نتيجة انخفاض قيمة العملة التونسية.[١]

أما من الناحية الصناعية فقد عملت فرنسا على تطور البلاد الطبيعي، فلم تنشئ فيها صناعة مهمة، وحتى الصناعات التي كانت موجودة قبل الحماية لم تبذل لها السلطة الفرنسية أي تشجيع، بل كانت حريصة على إبقائها حالها لتواجه مصيرها المحتوم، فقد اكتسحت فرنسا الأسواق الداخلية ببضاعتها الميكانيكية الرخيصة الثمن، حتى أصبح الصناع التونسيون الذين يمثلون الطبقة الوسطى يشكون الفقر والفاقة.[٢]

أما ثروة البلاد المعدنية فقد سلمتها السلطة الفرنسية إلى شركات احتكارية فرنسية مقابل إيجار سنوي زهيد، وكل المناجم وما تبعتها من صناعات آلية بيد الأجنبي ولا تعود بكبير الفائدة على تونس .[٣]

ولقد أثقلت السياسة الفرنسية كاهل التونسيين بعد الحرب العالمية الأولى بزيادات ضرائبية ورفع الأعباء الجبائية ومنها ما أصدره الباي من نظام جبائي جديد في ٢٠ سبتمبر 1919م وبمقتضاه وقعت الزيادة في أداء الاستيطان ، والإقصاء من المناصب السياسية والإدارية الهامة أمام عجز الباي وأعوانه عن وضع حد لهذه المظالم، وهذا ما يعطي صورة مقربة على الحالة المزرية التي عاشها التونسيون حراء عبث الأجانب بهم .[٤]

[١] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ٢٦

[٢] الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص ٥٠–٤٩

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٠

[٤] علي المحجوبي للمرجع السابق، ص ص ١٩٢ – ٢٠٢

لكن من جهة أخرى رغم قسوة هذه الأحداث إلا أنها زادت من تلاحم التونسيين وتكتل العمال والفالحين، ومبعثا على الانتفاض متى سمحت الفرصة، فسعى الاستعمار إلى فض كل تجمع سياسي ومحاربة كل حركة سياسية وعمالية مستقلة في مهدها.[١]

ث. الأوضاع الاجتماعية:

لقد انعكست السياسة الاقتصادية على الأحوال الاجتماعية للتونسيين فانتشرت الأمراض خاصة المعدية منها، وعم الفقر والجوع وكثر عدد المتسولين والمحرومين من أي ضمان اجتماعي يحميهم من حوادث الشغل وغيرها.[٢]

وعلى العموم فقد اتسمت الأوضاع الديمغرافية العامة في تونس من بداية الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى بالاستقرار والسكون، وتختلف المصادر حول تقدير العدد الإجمالي للسكان، الا أن المتفق عليه أن الرصيد السكاني لا يفي بحاجة اقتصاد استعماري متغير، وهذا ما أدى إلى استخدام اليد العاملة الأجنبية من الأقطار المجاورة كطرابلس، والجزائر وإيطاليا .[٣]

[١] الطاهر بن عبد الله ، المرجع السابق، ص ٥٢

[٢] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص ٣٨

[٣] عبد العزيز التعالي، المصدر السابق، ص ٥١

المبحث الثاني: مفهوم الرحلة وأهميتها الدراسات التاريخية:

المطلب الاول: الرحلة كمفهوم وأداة معرفية:

أ. مفهوم الرحلة:

تعددت القراءات والتعريفات حول مفهوم **الرحلة** نظراً لتشعب أبعادها بين الجغرافيا، الأدب، والتاريخ. ولضبط هذا المفهوم وفك التشابك بين دلالاته المختلفة، سنقوم في هذا المبحث بتعريفها لغة واصطلاحاً للوقوف على جوهرها كنشاط إنساني ومعرفي:

✓ الرحلة لغة:

الرحلة لغويا من يرحل رحلا ورحيلا وترحالا ذهب ورحله من بلده أخرجه منها، وارتحل القوم انتقلوا ، والراحلة الناقة الصالحة لان تركب، والرحل مركب للبعير أصغر من القتب، والرحل أيضا ما يستصحبه المسافر من الاوعية جمعه رحال، والرُحْلَةِ الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رُحْلتنا، وهو عالم رُحْلَة أي يرحل اليه.[١]

والرِّحْلَةُ بالضَّمِّ والكسرِ يُقالُ: إنَّهُ لَذُو رِحْلَةٍ إلى المُلوكِ ورُحْلَةٍ حَكاهُ اللِّحْيانِيُّ أي ارْتِحالٍ. والرِّحْلَةُ بالكسرِ: الارْتِحالُ لِلْمَسِيرِ.[٢]

ويضيف الفيروزز أبادي في معجمه: ارتحله: حط عليه الرحل فهو مرحول ورحيل وانه لحسن الرحلة بالكسر، فالرحل للابل والرحال العالم به المجيد.[٣]

✓ الرحلة اصطلاحا:

---

[١] فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد ٤، دت، ص٢٦

[٢] المرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية- الرياض، ٢٠١٠م، ٦١/٢٩. (ر ح ل)

[٣] محمد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٨٣، مج ٣، ص٣٨٣

ان الرحلة على مستوى المضامين ، تحتوي على معارف متنوعة ، تاريخية جغرافية دينية وأدبية، وحتى اثنوغرافية وعلى مستوى الاشكال نجد فيها السرد والوصف، الحكايات والاخبار، الرسائل والاشعار ، وهكذا جعلها المؤرخ نصا تاريخيا فيه كثير من المعلومات المتصلة بالبلدان المزارة، وجعلها مصدرا يستقي منه ما يورده الرحالة من معلومات جغرافية عن الاماكن التي مر بها، كما يجد فيها كل من الاثنوغرافي والباحث في تاريخ الافكار والدارس الادبي كل ما يودون معرفته عن مدان بحثهم وتخصصهم.[١]

تعرف الرحلة والسفر بانهما نوع حركة وخالطة، فيه تعب ومشقة واخطار، وهو وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه او الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه.[٢]

ب. مفهوم أدب الرحلة:

جاء في معجم المصطلحات العربية ان ادب الرحلات يعرف على انه مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل مرحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.[٣] ويمكن أن نقسم أدب الرحلات إلى قسمين:[٤]

الأول: القسم رحلة واقعية ورحلة خيالية: الرحلة الواقعية فهي رحلة قام بها الرحالة حقيقة، ووقعت« ضمن مكان وزمان معينين، وينتقل فيها الرحالة من مكان جغرافي محدد إلى مكان جغرافي آخر، في حين الرحلة الخيالية هي من نسيج خيال الكاتب، تحدث ضمن

[١] عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري، رحلة أبوراس الناصري أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، العدد ١٩_ ٢٠، جامعة وهران، الجزائر، أكتوبر ٢٠١٥، ص٢١٥

[٢] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، دار الكتب العربي، دط، دت، ج٢، ص٢١٧

[٣] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٧

[٤] يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في ادب الرحلة الجزائري، مذكرة ماجستير في اللغة والادب العربي، جامعة اكلي محند أولحاج، البويرة، ٢٠١٢_٢٠١٣ ، ص ص٣٧_٣٨

مكان وزمان متخيلين« يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية وإثارة الخيال. مثال ذلك رحلات سندباد البحري.

القسم الثاني: رحلة شعرية ورحلة نثرية: إذا كنا نقصد بأدب الرحلة ذلك الفن النثري الذي يتخذ الرحلة موضوعا له. فإن هناك كذلك رحلات شعرية كان لها صدى واهتمام من قبل الدارسين لا سيما الشعر الملحون.[١]

ت. نشأة وتطور أدب الرحلة:

عرف الانسان منذ القديم بحبه للمغامرة، وشغفه لاكتشاف المجهول، لهذا قام بالبحث عن وسيلة تمكنه للوصول الى هدفه، فراح يخترق الافاق متحديا بذلك كل ما هو صعب، وعلى هذا الاساس اتسعت الرحلات على مر الزمان، قبل مجيئ الاسلام كانت تعرف برحلتي الصيف والشتاء، أما بعد الاسلام فقد انفتح الرحالة على العالم برحلاتهم، وأصبحت الرحلة وسيلة للتثقف والتعلم والاتجار مع الاقطار المجاورة، كما اختلفت الدوافع للقيام بها من شخص لآخر.[٢]

والرحلة منذ أقدم العصور متصلة بتاريخ الإنسان، فنرى أول رحلة قام بها الإنسان من الجنة إلى الأرض كما أشار القران إلى قصة آدم حيث قال: قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا، [٣] في الحقيقة ان الإنسان رحالا منذ ولادته إلى موته، وتتعد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال يقول شوقى ضيف: " إن الإنسان ولد راحلا، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات

[١] يسمينة شرابي، المرجع نفسه، ص٣٨

[٢] سامية بوصيقع، أهمية الرحلات في الكتابات التاريخية، المجلة العربية المتخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والابحاث الايبستمولوجية، المجلد ٥، العدد ١٣، جوان ٢٠٢٠ ، ص٤٢٦

[٣] سورة البقرة، رقم الآية /٣٨

غير محسوسة في العالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثا في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر".[١]"

ويعرف العرب قبل الإسلام التجارة، وهم سافروا لها خارج أوطانهم عن طريق البر والبحر، و إشتهروا بالتجارة مع الشعوب الأفريقية والهندية، وهم ارتحلوا بمنتجاتهم إلى العراق والشام واليمن. ولكن لم تسجل أخبار هذه الرحلات تسجيلا خاصا إلا ما ورد في كتب اللغة وفي قصائد الشعر، وكذلك يذكر القران الكريم رحلات قريش الشهيرة (إِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ).[٢]"

ث. أغراض ودوافع الرحلات:

وتتمثل الاغراض والدوافع في:[٣]

- **دوافع دينية** : كالارتحال إلى الحج ، أو الدعوة إلى الله ، أو زيارة المقابر .
- **دوافع علمية أو تعليمية** : بغرض الاستزادة من العلم ،في منطقة من العالم اشتهرت بعلم من العلوم أو بشتى منها ، فكانوا يقطعون مسافات طويلة لتحقيق هذا الغرض ، وكذلك رحلات البحوث العلمية ،والكشوف الجغرافية.
- **دوافع سياسية** :كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام دول أخرى ، لمناقشة شؤون الحرب والسلام ،أو تمهيدا لفتح أو غزو .
- **دوافع سياحية وثقافية** :وهي تأتي من نداء النفس في المغامرة وحب التطلع ، ومعرفة المسالك والممالك ، للتمتع بعجائب وغرائب الكون .
- **دوافع اقتصادية** :حيث كان الإنسان منذ أقدم العصور وهو يرتحل و ينتقل من مكان إلى مكان بحثا عن الكلأ سواء له أو لماشيته ، ويحترف أيضا التجارة وتبادل السلع أو لفتح

[١] شوقى ضيف، الرحلات، دار المعارف – القاهرة، ط: ٤، د ت ن ، ص٣.

[٢] سورة قريش : الآية ١– ٢

[٣] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ،مكتبة الدار العربية للكتاب، د ت ن، ص٢٠

أسواق جديدة لمنتجات محلية ، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلاد المسافر "وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص و السير والوفرة أو العمل".

ج. أنواع الرحلات:

لقد تنوعت وتعددت أنواع الرحلات فهي تصل الى خمسة عشر نوعا او اكثر، وهي: الرحلات الحجازية، والسياحية والرسمية والدراسية والاثرية والاستكشافية والزيارية والسياسية والعلمية والمقامية والبدانية والخيالية والفهرسية والعامة والسفارية، ويمكن ادراج الكثير من هذه الانواع تحت عنوان واحد شامل كالرحلات الرسمية التي تضم السياسة والسفارية، ويمكن التركيز على اكثر الانواع شيوعا ، كالرحلات العلمية ، الدينية، والرسمية والتجارية.[١]

المطلب الثاني: أهمية أدب الرحلات والرحلة كمصدر من مصادر التاريخ:

ان المتأمل للرحلات يلاحظ بانها تمثل نوعا من الحركة ، وهي ايضا مخالطة للناس والاقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الانسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث انها اكثر المدرس تثقيفا للإنسان واثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الاخرين، وقد اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتنوعت مادة الرحلة ، ومع ذلك فان كتابات الرحالة، أيا كانت توجهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية، تصور الى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا اليها واحوال الشعوب التي اختلطوا بها.[٢]

[١] محمد بن عثمان المكناسي، الاكسير في فكاك الاسير، تح: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، د ت ، ص٠٥

[٢] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٨٩م، ص١٥

وتكمن القيمة العلمية لكتب الرحلات في اهمية ما أورده الرحالة من معلومات تاريخية وجغرافية وثقافية واقتصادية ساهت في اماطة اللثام عن تاريخ المجتمعات، وبالتالي عكست لنا المظاهر الحضارية والثقافات الانسانية، والجدير بالذكر ان الرحلات قد قامت بتغطية جانب مهم من حياة الشعوب ألا وهو الحياة الاجتماعية والثقافية التي أغفلتها المصادر الاخرى ذكرها، رغم أهميتها خاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد والحياة اليومية، وتزداد في الاهمية كتب الرحلات هو ان الرحالة قد استقى تلك الحقائق والمعلومات عن طريق الاتصال المباشر والملاحظة الدقيقة لمختلف الظواهر الاجتماعية للبلدان التي زارها وعليه شكلت كتابات الرحالة مصدرا هاما للمؤرخ اذ لا يمكن الاستغناء عنها بالنظر للخدمات الجليلة التي قدمها هذا النوع من الكتابات للدراسات التاريخية على مر العصور.[١]

[١] عبد القادر خليفي، الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف : الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد ٤، ٢٠٠٩، ص١٢٠

خلاصة فصل:

في ختام هذا الفصل، يتضح أنّ دراسة الأوضاع العامة في كلٍّ من الجزائر وتونس خلال الفترة (١٩٠٠–١٩٣٢م) تُعدّ مدخلًا ضروريًا لفهم السياق التاريخي الذي نشأت فيه نصوص الرحلة. فقد أبرزت هذه المرحلة مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي أثرت بشكل مباشر في بنية المجتمعين، ووجّهت نظرة الرحالة وطبيعة ملاحظاتهم.

كما تمّ التأكيد على أنّ الرحلة ليست مجرد سرد وصفي، بل تُعدّ أداة معرفية ذات قيمة علمية، تُمكّن الباحث من استكشاف جوانب متعددة من الواقع التاريخي، خاصة ما يتعلق بالحياة اليومية والتصورات الثقافية. وبالتالي، فإنّ أدب الرحلات يشكّل مصدرًا تاريخيًا مهمًا يُسهم في إثراء الدراسات التاريخية وتوسيع آفاقها.

الفصل الثاني :

محمد صالح الجابري وكتابه "خمس رحلات إلى الجزائر"

المبحث الاول : نبذة عن حياة محمد صالح الجابري ومساره الادبي:

المطلب الاول: مولده، نشأته، تعليمه ومساره الفكري.

المطلب الثاني: مؤلفاته وإنتاجه الفكري.

المبحث الثاني: دراسة كتاب "خمس رحلات إلى الجزائر":

المطلب الاول: القراءة الخارجية للكتاب _ الإطار التاريخي وسياق التأليف

المطلب الثاني: القراءة الداخلية للكتاب _ تحليل المضمون والبنية.

يعدّ الدكتور **محمد صالح الجابري** من أبرز الأسماء الأدبية والنقدية في تونس والمغرب العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إذ جمع بين الإبداع الأدبي والبحث الأكاديمي والعمل الثقافي، وأسهم إسهامًا بارزًا في خدمة الأدب المغاربي، ولا سيما الأدب الجزائري والتونسي. وقد عُرف الجابري بكونه باحثًا موسوعيًا وأديبًا متعدد الاهتمامات، حيث كتب الرواية والقصة والمسرح، إلى جانب الدراسات النقدية والتاريخية التي تناولت تطور الحركة الأدبية والثقافية في بلدان المغرب العربي، الأمر الذي جعله يحتل مكانة مرموقة ضمن أعلام الفكر والأدب العربي المعاصر.[1]

[1] محمد سيف الإسلام بوفلاقة، محمد صالح الجابري عاشق الثورة الجزائرية وخادم الأدب الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، العدد ١٢، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٤٥ .

المبحث الاول : نبذة عن حياة محمد صالح الجابري ومساره العلمي:

المطلب الاول: مولده، نشأته، تعليمه ومساره الادبي:

أ. مولده ونشأته:

وُلد محمد صالح الجابري[1] سنة ١٩٤٠ بمدينة توزر الواقعة في الجنوب التونسي، ونشأ في بيئة ثقافية تقليدية ساعدته على التعلق المبكر باللغة العربية والآداب. وقد التحق بالكُتّاب في سن صغيرة، ثم واصل تعليمه الابتدائي بمدرسة "ابن شباط" إلى غاية سنة ١٩٥٣، قبل أن ينتقل إلى الدراسة الثانوية بمدينة توزر. وفي سنة ١٩٥٧ التحق بمعهد ابن خلدون بالعاصمة تونس، وهو من المعاهد التي لعبت دورًا مهمًا في تكوين النخب الفكرية والثقافية في تونس الحديثة، ليتخرج فيه سنة ١٩٦٢[2]. وبعد ذلك انتقل إلى بغداد لمواصلة دراساته العليا، حيث نال الإجازة الجامعية، ثم واصل مساره الأكاديمي بجامعة الجزائر التي حصل منها على شهادة الدكتوراه بأطروحة تناولت الأديب الشهير محمود بيرم التونسي، وهو اختيار يعكس اهتمامه المبكر بالأدب المغاربي وبالعلاقات الثقافية بين أقطار الوطن العربي[3].

و سافر محمد صالح الجابري الى العراق، كما درس بالجامعة بكلية الآداب ببغداد، وحصل على جائزة في اللغة والآداب العربية في عام ١٩٧١م، ثم عاد الى تونس ودرس بمعاهد التعليم الثانوي ، كما التحق بوزارة الثقافة بدية ١٩٧٣، عمل مديرا بالمركز الثقافي التونسي بطرابلس بليبيا ، كما تابع تعليمه العالي في الجزائر وحصل على شهادة الدراسات المعمقة من جامعة الجزائر في عام ١٩٨٠، كما

[1] انظر الملحق رقم ١، ص: ٦١

[2] محمد سيف الإسلام بوفلاقة ، المرجع السابق، ص ٤٦.

[3] م حمد صالح الجابري، محمود بيرم التونسي في تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص ٧ .

حصل كذلك على دكتوراه الدولة في الآداب بأطروحة عن بيرم التونسي في عام ١٩٨٧.[١]

ب. مساره الأكاديمي والتعليمي:

تنوعت المسارات المهنية التي تقلدها الجابري، فاشتغل في بداية حياته العملية بالتعليم، حيث عمل معلّمًا بضاحية الوردية بالعاصمة التونسية، ثم أستاذًا للتعليم الثانوي بمدينة المنستير. وبعد ذلك انتقل إلى العمل الثقافي والإداري، فالتحق بوزارة الثقافة التونسية مديرًا لمصلحة الآداب، ثم عُيّن مديرًا للمركز الثقافي التونسي بطرابلس الليبية، وهي التجربة التي عمّقت اهتمامه بالثقافة المغاربية المشتركة[٢]. وفي سنة ١٩٧٩ التحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الألكسو"، حيث أشرف على إدارة الثقافة إلى غاية إحالته على التقاعد سنة ٢٠٠٠، قبل أن يُكلَّف بالإشراف على مشروع "موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين"، وهو مشروع ثقافي ضخم صدر منه عدد معتبر من المجلدات، ويُعد من أبرز إنجازاته الفكرية والعلمية[٣].

المطلب الثاني: مؤلفاته وإنتاجه الفكري :

ترك محمد صالح الجابري رصيدًا ثريًا ومتنوعًا [٤]على مستوى الإنتاج الأدبي، فقد شمل الرواية والقصة والمسرح والدراسات النقدية. ففي مجال الرواية برزت روايته الشهيرة «**يوم من أيام زمرا** «التي صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٦٨، ثم أعيد طبعها مرات عديدة، وهو ما يدل

[١] بوراوي عجينة، ، المرجع السابق، ص٨٩

[٢] محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مرجع سابق، ص ٤٧ .

[٣] المرجع نفسه، ص ٤٨.

[٤] انظر الملحق رقم ٢:، ص: ٦٢

على نجاحها وانتشارها في الأوساط الثقافية العربية[1]. وقد تناولت الرواية أوضاع عمّال المناجم في الجنوب التونسي خلال فترة الاستعمار، مركزة على معاناتهم الاجتماعية والكفاح النقابي والوطني الذي خاضوه ضد الاستغلال الاستعماري، كما تحولت لاحقًا إلى فيلم سينمائي بعنوان "رديف ٥٤"، أخرجه المخرج علي عبيد، الأمر الذي يؤكد القيمة الفنية والواقعية للرواية[2]. كما كتب رواية »**البحر ينشر ألواحه** «سنة ١٩٧١، إضافة إلى رواية »**ليلة السنوات العشر** «التي تحولت بدورها إلى فيلم سينمائي أخرجه إبراهيم باباي سنة ١٩٨٢، وقد عالجت الرواية أحداثًا اجتماعية وسياسية مرتبطة بالواقع التونسي، موظفة البعد التاريخي والإنساني في آن واحد[3].

وفي مجال القصة القصيرة، أصدر مجموعات قصصية من أبرزها »**إنه الخريف يا حبيبتي** «سنة ١٩٧١، و**«الرخ يجول في الرقعة»** سنة ١٩٨٠، وقد اتسمت قصصه بالنزعة الواقعية والتعبير عن هموم الطبقات الشعبية وقضايا المجتمع المغاربي[4]. كما خاض تجربة الكتابة المسرحية من خلال مسرحية »**كيف لا أحب النهار؟** «سنة ١٩٧٩، وهي تجربة تعكس اهتمامه بالأشكال الأدبية المختلفة ورغبته في توظيف الأدب لخدمة القضايا الوطنية والإنسانية[5].

وعلى صعيد الدراسات النقدية، يُعد الجابري من أهم الباحثين الذين اهتموا بتأريخ الأدب التونسي والمغاربي، فقد أصدر مجموعة من الدراسات المهمة، من بينها كتاب »**الشعر التونسي المعاصر خلال قرن** «سنة ١٩٧٤، وكتاب »**الشعر التونسي الحديث** «سنة ١٩٧٥، إضافة إلى كتاب »**القصة التونسية نشأتها وروادها** «سنة ١٩٧٧، وهي مؤلفات تُعد مراجع

[1] محمد صالح الجابري، يوم من أيام زمرا، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨، ص ٥ .

[2] عبد الله ركيبي، الأدب المغاربي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص ٢١٣ .

[3] محمد صالح الجابري، ليلة السنوات العشر، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩، ص ٩.

[4] محمد صالح الجابري، إنه الخريف يا حبيبتي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١، ص ٣ .

[5] محمد صالح الجابري، كيف لا أحب النهار؟، وزارة الثقافة التونسية، تونس، ١٩٧٩، ص ١١ .

أساسية لفهم تطور الحركة الأدبية في تونس[1]. كما نشر كتاب «**دراسات في الأدب التونسي** « سنة ١٩٧٩ بالتعاون مع عدد من الأدباء التونسيين، إلى جانب كتاب «**النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس** «سنة ١٩٨٣، الذي يُبرز فيه الدور الثقافي والعلمي الذي لعبه الجزائريون المقيمون بتونس خلال فترة الاستعمار الفرنسي[2].

ومن أبرز الجوانب التي ميّزت شخصية محمد صالح الجابري تعلقه العميق بالجزائر وثورتها وأدبها، حتى لُقّب بـ"عاشق الثورة الجزائرية". فقد اهتم بالأدب الجزائري اهتمامًا بالغًا، وسعى إلى التعريف به في الأوساط الثقافية العربية، ويتجلى ذلك بوضوح في كتابه «**الأدب الجزائري في تونس** «الذي يُعد مرجعًا مهمًا في دراسة الأدب الجزائري وعلاقته بالمحيط المغاربي[3]. وقد وصفه الدكتور محمد سيف الإسلام بوفلاقة بأنه أحد كبار المثقفين الموسوعيين الذين جمعوا بين البحث العلمي والإبداع الفني، مؤكدًا أن الجابري قدّم خدمات جليلة للأدب الجزائري من خلال التعريف بأعلامه ورصد تطوره التاريخي والفكري [4]

كما اهتم الجابري بدراسة الأدب الليبي، ويتضح ذلك في كتابه «**يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية** «الذي وثّق من خلاله النضال الليبي ضد الاستعمار الإيطالي، معتمدًا على الصحافة التونسية بوصفها مصدرًا تاريخيًا وثقافيًا مهمًا[5]. وقد أبرز في هذا العمل عمق العلاقات الثقافية والسياسية بين تونس وليبيا، ودور الصحافة المغاربية في دعم قضايا التحرر الوطني.

[1] محمد صالح الجابري، الشعر التونسي المعاصر خلال قرن، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤، ص ١٥.

[2] محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٣، ص ٢٢

[3] محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥، ص ١٧ .

[4] محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مرجع سابق، ص ٤٩

[5] محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠، ص ١٠ .

ومن خلال مجمل أعماله الإبداعية والنقدية، يتبين أن محمد صالح الجابري كان من رواد الواقعية في الأدب المغاربي، إذ استمد شخصياته وأحداثه من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي عاشه، وجعل من الأدب وسيلة لتصوير معاناة الإنسان العربي والدفاع عن قضاياه الوطنية والإنسانية[1]. كما امتاز أسلوبه بالوضوح والالتزام، مع توظيف البعد التاريخي والتوثيقي في أعماله الروائية والنقدية، الأمر الذي منح إنتاجه قيمة فكرية وأدبية متميزة.

وقد توفي محمد صالح الجابري في شهر جوان سنة ٢٠٠٩، بعد مسيرة حافلة بالعطاء الثقافي والفكري، تاركًا وراءه إرثًا أدبيًا ونقديًا غنيًا أسهم في إثراء الثقافة المغاربية والعربية، وجعله واحدًا من أبرز أعلام الأدب والنقد في تونس الحديثة[2].

المبحث الثاني: دراسة كتاب "خمس رحلات إلى الجزائر":

المطلب الاول: القراءة الخارجية للكتاب _ الإطار التاريخي وسياق التأليف:

- ✓ **الاطار الببليوغرافي للكتاب:**
- ✓ **اسم المؤلف:** محمد صالح الجابري
- ✓ **عنوان الكتاب:** خمس رحلات الى الجزائر ١٩٠٤_١٩٣٢م (محمد الخضر حسين وآخرون)[3]
- ✓ **دار ومكان النشر:** المؤسسة العربية للدراسات والنشر و دار السويدي للنشر والتوزيع
- ✓ **بلد النشر:** الامارات العربية المتحدة
- ✓ **سنة النشر:** ٢٠٠٤
- ✓ **الطبعة:** الاولى

[1] عبد الله ركيبي، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

[2] محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مرجع سابق، ص ٥٢.

[3] انظر الملحق رقم ٣، ص ٦٣

✓ **عدد صفحات الكتاب:** ١٥٤ صفحة

✓ **الاطار الشكلي للكتاب:**

✓ **واجهة الكتاب:**

"يتميّز غلاف كتاب خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤–١٩٣٢) بطابع تراثي كلاسيكي، حيث يغلب عليه اللون الأزرق وتحيط به زخارف هندسية ذات طابع إسلامي، يتوسطها عنوان الكتاب بخط عربي مزخرف، مما يعكس الهوية الثقافية والتاريخية للمؤلَّف.

✓ **حجم الكتاب:**

"يتخذ الكتاب حجمًا متوسطًا قريبًا من(A5) ، حيث يبلغ طوله حوالي ٢١ سم وعرضه ١٤,٥ سم، بينما يتراوح سمكه بين ١ و١,٥ سم، وهو ما يجعله سهل التداول والاستخدام في الأوساط الأكاديمية".

✓ **المضمون العام للكتاب:**

عالج الكتاب خمس رحلات الى الجزائر قاه بها اربعة أدباء وعلماء تونسيين وشاعر جزائري ، ما بين ١٩٠٤_١٩٣٢، وهي يوميات تصور لنا بعض مدن الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، وتتضمن انطباعات هؤلاء الرحالة في فترة بدا فيها كل شيء مستكينا ومستلما للإرادة الاستعمارية، لكن هذا ما كان تقوله الفترة فقط على سطح لحياة الجزائرية. [١]
وقد احتوى الكتاب على خمس فصول نلخصها في ما يلي:

١–الرحلة الجزائرية الاولى: محمد الحضر بن الحسين:

يرصد الكاتب انطباعاته الأولى عن الجزائر من خلال زيارة تتسم بالطابع الديني والثقافي. يركز على حالة المجتمع الجزائري تحت الاستعمار، حيث يظهر الهدوء الظاهري

[١] محمد صالح الجابري، خمس رحلات الى الجزائر ١٩٠٤_١٩٣٢م (محمد الخضر حسين وآخرون)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر و دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

لكنه يخفي تراجعًا في الهوية الثقافية والدينية. كما يلفت الانتباه إلى مكانة العلماء والزوايا ودورهم في الحفاظ على الدين واللغة العربية رغم الضغوط الاستعمارية.[1]

٢-الرحلة الجزائرية الثانية: أحمد حسين المهيري:

تقدم هذه الرحلة وصفًا أدق للواقع الاجتماعي في المدن الجزائرية. يلاحظ الكاتب التفاوت بين الحياة التقليدية في الأحياء الشعبية والحضور الاستعماري في المدن. كما يركز على مظاهر التعليم، ويشير إلى ضعف المدرسة العربية مقابل انتشار التعليم الفرنسي، مع إبراز مقاومة ثقافية صامتة لدى السكان[2].

٣-الرحلة الثالثة: شهران في عمالة قسنطينة سعيد ابو بكر:

تعكس هذه الرحلة إقامة أطول نسبيًا في منطقة قسنطينة، ما سمح للكاتب بتقديم صورة أعمق للحياة اليومية. يصف البنية الاجتماعية، الأسواق، والعادات، كما يبرز تأثير الإدارة الاستعمارية على الاقتصاد المحلي. وتظهر في النص ملامح الفقر والقيود المفروضة على السكان، مقابل صمودهم الثقافي[3].

٤-الرحلة الرابعة : الجولة الجزائرية ، الطيب بن عيسى :

تعد هذه الرحلة الأكثر تفصيلاً، حيث يغطي الكاتب عدة مدن جزائرية. يقدم وصفًا جغرافيًا واجتماعيًا واسعًا، ويقارن بين المناطق المختلفة. كما يبرز التناقض بين جمال الطبيعة الجزائرية وبين واقع الاحتلال. ويعكس النص وعيًا سياسيًا متزايدًا بآثار الاستعمار على المجتمع.

٥-الرحلة الخامسة: جولة من السلال الى الرمال، حمزة بوكوشة :

[1] محمد صالح الجابري، المصدر السابق، ص ص ٢٦_٤٥

[2] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص ص٤٥_٦٥

[3] المصدر نفسه ، ص ص٦٥_١٠٥

تمثل هذه الرحلة رؤية شاعرية وتأملية، حيث يركز الكاتب على الجانب الجمالي والرمزي للفضاء الجزائري. يتنقل بين المدن والصحراء، ويستخدم لغة أدبية لوصف العلاقة بين الإنسان والمكان. كما يحمل النص نزعة وطنية خفية تعبر عن التعلق بالأرض رغم هيمنة الاستعمار[1].

المطلب الثاني: القراءة الداخلية للكتاب _ تحليل المضمون والبنية:

- ✓ **تلخيص محتوى الكتاب:**

١-الرحلة الجزائرية الاولى: محمد الحضر بن الحسين (من الصفحة ٢٥ الى ٤٤):

بدأ محمد الخضر بن الحسين[2] رحلته الى الجزائر بمحطته الاولى سوق اهراس حيث يذكر انه حط الرحال فيها في شهر رمضان من سنة ١٣٢٢هـ، ثم غادر سوق اهراس الى تبسة في تمام الساعة الخامسة صباحا عبر القطار نحو خمس ساعات، وبقي فيها يوما ، ومن الغد قصد عين البيضاء في الساعة السادسة مساءا فوصل في تمام الساعة الخامسة صباحا فوفد عليه من اهل العلم الشيخ محمد العربي بن قشوط ، والشيخ المسعود بن علي، والشيخ احمد بن ناجي، فطرحت بنه مسائل ومنها الفرق بين الكل والكيلة ، ثم بارح عين البيضاء في الساعة السادسة صباحا ليصل الى قسنطينة ووجد بها مدرسة اسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول، وثلاثة جواج تقام فيها صلاة الجمعة وهم: الجامع الكبير والجامع الاخضر[3] وجامع

---

[1] المصدر نفسه ، ص ص١١٥_١٢٢

[2] **محمد الخضر حسين:** ورد في معجم الادباء ان محمد الخضر حسين بن علي عمر الحسني التونسي عالم اسلامي واديب وباحث ، يقول الشعر ومن اعضاء المجمعين العربيتين بمدشق والقاهرة ، ومن تولوا مشيخة الازهر، ولد في نفطة من بلاد تونس سنة ١٨٧٦م وانتقل الى تونس مع ابيه وتخرج بجامع الزيتونة ودرس فيه وانشأ مجلة السعادة العظمى ، وولى القضاء ببنزرت واستعفى وعاد الى التدريس بالزيتونة وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونية، وزار الجزائر ثلاث مرات، ...**انظر:** سعيد قروي، المثقف التونسي في الفكر العربي المعاصر: محمد الخضر حسين نموذجا، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد ٤، العدد ١، مارس ٢٠٢٢ ، ص ص٣٧_٣٨

[3] **الجامع الاخضر:** تم تأسيس الجامع الاخضر في سنة ١٢٥٦هـ، وفيه مكتبة عمومية تحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة ..**انظر:** محمد صالح الجابري، المصدر السابق، ص٣١

سيدي الكتاني، كما يذكر انه يبلغ عدد سكان مدينة قسنطينة حوالي نحو ٥٥ الف نسمة في ذلك الوقت، نصفهم من المسلمين واربعة الاف من اليهود[١]، والباقي من الافرنج.

وفي اليوم التالي التقى محمد الخضر بن الحسين بابن عمه الشيخ الحسن، فعزم على مرافقته في السفر الى باتنة فتوجها اليها ووصلا عند الساعة الثامنة مساءا، ويذكر انها: فسيحة العرض ومتناسقة البناء ، منورة بالكهربائي، فبقي فيها ليلة تسامر مع فضلاءها امثال الشيخ احمد البوعني والشيخ ابراهيم ابن السلمي، الى ان انتقل في صباح اليوم التالي الى عاصمة الجزائر عبر القطار، وفي غد يوم السبت ١٢ رمضان الموافق ل ١٩ نوفمبر يذكر انه قام بزيارة الولي الصالح الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي ١٣٨٦م_١٤٦٨م،كما زار المدرسة الثعاليبية وحضر احتفال افتتاحها الرسمي في يوم الاثنين ١٧ اكتوبر من سنة ١٣٢٢هـ، ثم انتقل الى الجامع الكبير فالتقى بالشيخ عبد الحليم بن سماية، الذي دعاه في اليوم الموالي لمنزله الواقع اقصى المدينة واعلاها.[٢]

والتقى في نفس اليوم محمد الخضر بن الحسين و الشيخ الحسن بالشيخ عبد القادر المجاوي، في مسجد سيدي محمد الشريف، كما اجتمع بالشيخ محمد بن مصطفى خوجه ، بدكان السيد احمد بن مراد وتسامر معه في حديث عن التعليم وغيره.

وفي ختام رحلته زار المكتبة العمومية ، فوجد فيها عدة من الكتب الغريبة، مثل القبس على موطأ مالك بن انس، وقد تأسف انه لم يستطع زيارته الا في اليوم الاخير من اقامته.[٣]

---

[١] **اليهود:** ويطلق في العادة على اليهود اسمان: الأول" بني إسرائيل" وهم الذين ينتسبون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، فهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة فترة من الزمن، ثم انتزعها منهم و ّ أحل عليهم غضبه و لعنته جزاء كفرهم و محاربتهم الله و رسله، أما الاسم الثاني" اليهود "فهو الاسم الذي عرفوا به في ما بعد و الذي انتشر بين الأمم، كما نجدهم يسمون أيضا بالعبرانيين، و هذه التسمية قديمة وجدت في النصوص المسمارية و تطورت بهذا الشكل: خابري– خابرين– العابرين (أي الذين يعبرون النهر) و قد تكون هذه التسمية عن العبرانيين" Hébreux" في اللغات السامية و منها العبرية، **انظر**: ناجي نعمان، المجموعات العرقية و المذهبية في العالم العربي، دار نعمان للثقافة، بيروت،١٩٩٠ ، ص ٤٧٦

[٢] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص ص ٣٨_٤٠

[٣] المصدر نفسه ، ص٤٤

٢-الرحلة الجزائرية الثانية: أحمد حسين المهيري١٩٢٢م (من الصفحة ٤٧ الى ٦٥)

:

وغادر الشيخ احمد حسين المهيري[١] مدينة صفاقس في بداية سبتمبر ، فأقام بسوسة اياما، ثم انتقل في ١٤ سبتمبر الى القصرين [٢]، الى ان وصل تالبت واقان بها ليلة، وفي يوم السبت ١٦ سبتمبر وصل الى مدينة تبسة على الساة الواحدة بعد الزال، وعند وصوله يصفها بان فيها اربعة ابواب وبعض الاثار الرومانية التي حافظت عليها الحكومة ، ووجد كذلك في تبسة جامع واحد للصلاة ، واما سكانها فجلهم مسلمون وبها جالية اوروبية قليلة جدا ، وفي اليوم الموالي بارح تبسة الى مدينة العين البيضاء التي تبعد عن تبسة ب ٨٠ كلم ، وهي واقعة في الشمال الغربي من تبسة، وعند الوصول الى الدار البيضاء التقى مع الكاتب الوطني الامير خالد مدير جريدة الاقدام الجزائرية، كما يصف مدينة عين البيضاء بانها مدينة جميلة بها مياه عذبة وهواؤها معتدل ، وفيها سوق كبير يوم الاثنين، ثم توجه الشيخ أحمد حسين المهيري الى قسنطينة ، فوصل اليها في الساعة الثامنة ليلا ، وفيها زار صحبة السيد مامي اسماعيل بن عبدة، ادارة الجمعية الخيرية الاسلامية، ومن قسنطينة انتقل الى باتنة يوم ٢٤ سبتمبر فشهد سباق الخيول (كورس) ، حيث يقول: وشاهدنا بها من الصافنات الجياد ما يعز وجدوه في غير هذا البلد.[٣]

---

[١] **احمد حسين المهيري:** من مواليد مدينة صفاقس عاصمة الجنوب التونسي ، درس بالزيتونة وكانت له مواقف نضالية من المستعمر، اصدر جريدته المناضلة العصر الجديد سنة ١٩٢٠ التي صادرتها الرقابة الاستعمارية في سنة١٩٢٤ ثم اعاد اصدارها سنة ١٩٣٦ ، ايمانا منه بجدوى العمل الصحفي ، **ينظر:** محمد صالح الجابري، المصدر نفسه، ص١٢

[٢] **القصرين:** عاصمة الوطن التونسي، وهي عبارة عن دشرة صغيرة بها سوق اسبوعي ينتصب كل يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، وبها تجار بداكينهم وتجار لشراء نبات الحلفاء التي توجد هناك، وبدشرة القرين مياه تتدفق تنبع من جبل يبعد عنها بنحو كيلومتر فقط، تسمى المياه عين القائد، وهي كافية في هذا الوقت لسقي السكان وفي الصيف تكون باردة وفي الشتاء تكون حارة قليلا ، اما التجارة في الان في كساد كبير بسبب قلة الصابة والامطار ، **ينظر:** محمد صالح الجابري ، المصدر نفسه، ص ص٤٧_٤٨

[٣] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٥٨

ومن باتنة توجه احمد حسين المهيري الى مدينة بسكرة يقول عنها: انها مدينة غاية في اللطف والزخرفة لكنها لم يوجد بها مسجد للصلاة، كما توجد بها الغلال النفيسة كالعنب والخوخ وغيرها، والسبب كثرة العيون والانهار، ثم بارح بسكرة يوم الثلاثاء في ٢٦ سبتمبر ١٩٢٢م ، قاصد مدينة سيدي عقبة بن نافع [١]، ويصف البلد بأنه قليل المياه إلا أنها تحمل عدد وافر من النخيل كالقلة وغيرها.

٣-الرحلة الثالثة: شهران في عمالة قسنطينة سعيد ابو بكر ١٩٢٧_١٩٢٨م (من الصفحة ٦٧ الى ١٠٥) :

يذكر الشيخ سعيد ابو بكر [٢] انه رغب كثيرا في زيارة الجزائر وسنحت له الفرصة للزيارة فانتقل من بلاد غار الديماو [٣]، الى الحدود الجزائرية فسلم حقيبته الى الديوانة (الجمارك) وتوجه نحو الرتل الجزائري وبعد عشر دقائق من المسير وصل الى التراب الجزائري، و كانت اول محطة سيدي الهميسي ، وفي الساعة الثامنة وصل الى قسنطينة ، ويقول عن قسنطينة: و أول شيئ لاحظته هو نظافتها واعتناء المجلس بها اعتناءا زائد، وقد لاحظ كذلك انتشار المقاهي الاوروبية والعربية كثيرا، كما يذكر تآلف المسلم واليهودي والاوروبي [٤].

وعند انقضاء اسبوع في قسنطينة اتجه الى بسكرة التي يصفها ان فيها جماعة اصلاحية قوية على راسها السيد الطيب العقبي ،وأهم ما ترمي اليه هذه الجمعية القضاء على الخرافات

---

[١] **عقبة بن نافع:** هو عقبة بن نافع بن قيس القرشي الفهري ولد رضي الله عنه اوائل الهجرة النبوية ، وعد صحابي المولد ، حفظ القران الكريم واشتغل بالعلوم الدينية والعربية حتى برع فيها ، تولى امارة افريقية من طرف الخليفة معاوية بن ابي سفيان بن حرب، وهو من اكابر الصحابة والعلماء العاملين ، ومن مشاهير القواد الحربيين واساطين السياسة المحنكين، فأفاد بمواهبه الراقية الاسلام والمسلمين ونشر الدعوة الاسلامية متجشما في سبيلها كل العقبات والكوارث الى ان لقي الله وهو راض عنه، رضي الله عنه ونفعنا بعلومه واسراره. **ينظر:** نفسه، ص٦٣

[٢] **سعيد ابو بكر:** ولد في سنة ١٨٩٩ في بلدة المكنين بالساحل التونسي ، زاول تعلمه بالقرية ، ثم اشتغل بمكتب احمد المحامين، ومان مولعا منذ الصغر بكتابة الشعر، اسهم في تحرير واصدار عدد ن الصحف والمجلات منها العالم سنة ١٩٣٠ ، وتونس المصورة، له ديوانان بعنوان السعيديات والزهرات، **ينظر:** محمد صالح الجابري، المصدر السابق، ص١٢

[٣] **الديماو:** غار الديماو مدينة تقع بالشمال الغربي للجمهورية التونسية، متاخمة للحدود الجزائرية ، ويلفظها النار غار الدماو تخفيفا ودروجا على العادة، **ينظر:** المصدر نفسه، ص٦٧

[٤] المصدر نفسه ، ص٨٥

القديمة، والتنقيص مما يعمله الناس عن الطرق والزوايا للقضاء عليه نهائيا، وبعد اسبوع في بسكرة انتقل الى قسنطينة مكث فيها قليلا ثم اتجه الى قالمة في القطار ، حيث تبعد هذه المدينة بمسافة قليلة، زار الجامع الاعظم بهاته المدينة، ثم مع الساعة الخامسة مساءا توجه عبر الرتل الى عنابة، وفيها اقام في فندق فرنسي ، وفي صباح اليوم التالي التقى بالشيخ عبد الرحمان التونسي وواصل معه رحلة اكتشاف عنابة، ويصفها قائلا: فيها سوقان كبيران منظمان تنظيما عجيبا أحدهما يطلقون عليه سوق الخضرة وهو جميل جدا، والثاني يسمونه السوق العربي ،وقضي فيها يومين او ثلاثة، ثم انتقل الى سوق اهراس.[1]

ثم انتقل الى تبسة ،ويذكر ان الحركة التجارية فيها كبيرة وذات أهمية بالغة وهي محصورة في جماعة بني مزاب المشهورين بالحزم والنشاط، كما زار الجامع الكبير بتبسة وتحدث ان الحركة العلمية كانت ضئيلة والحركة الادبية تكاد كون مفقودة، كما يصف بلدة العين البيضاء انها اكثر المدن التي تظهر فيها المرأة وتتزين بالوشم كثيرا مما يغطي على تفاصيل وجهها، والجالية الفرنسية في العين البيضاء قليلة جدا.[2]

ولقد وصل باتنة في يوم سباق الخيل الذي يصفه انه يوم عظيم ، وانتقل الى بسكرة ثم الى بلدة سيدي عقبة التي يصفها بانها اكثر بلدان الجزائر ناسا، واهم مافيها الجامع العتيق فمكث فيها يومين.[3]

٤-الرحلة الرابعة : الجولة الجزائرية ، الطيب بن عيسى ١٩٢٧ (من الصفحة ١٠٧ الى ١٠٥):

ويذكر الطيب بن عيسى[1] أنه قام بعدة زيارات الى الجزائر وكانت هذه اهمها حيث يصف أول محطة له قالمة بأنها : بلاد جميلة مرتفعة عن سطح الارض، وجمالها ليس بموقعها

[1] نفسه.

[2] محمد صالح الجابري ، المصدر السابق، ص٩٨

[3] نفسه ، ص١٠٤

الطبيعي فقط بل حتى من تنظيمات شوارعها وتنويرها بالضوء الكهربائي ليلا ، ثم يعرج على الجزائر العاصمة و ويقول عنها أنها اجمل بلاد من الولاية لموقعها الطبيعي بين البحر والجبل ، وبها مدراس عليا لتخريج الحقوقيين والحكام الشرعيين، كما فيها تم تأسيس نادي الترقي، ومن الجزائر يذكر البليدة التي هي البلاد العربية الاهلة بالمسلمين وهي تبعد عن الجزائر بنحو ٦٠ كليلومتر، واما نهضتها الادبية فتكاد تكون ميتة لا جمعيات ماعدا بعض الجمعيات الرياضية[٢].

ويتحدث عن قرية قرواو التي هي قرية عربية اسلامية ، من اكبر قرى القطر الجزائري تقع في طريق البليدة ، وراضي القرية اراضي خصبة وناسها حريصين على العمل في اراضيهم وحزمهم على خدمتها مما لم يمح للفرنسيين بدخولها.[٣]

٥-الرحلة الخامسة: جولة من السلال الى الرمال، حمزة بوكوشة ١٩٣٢ (من الصفحة ١٠٥ الى ١١٥):

وفي ١٥ جمادى من عام ١٩٣٢ غادر حمزة بوكوشة[٤] بلدة دلس[٥]، نحو بسكرة ووادي سوف، فعرج على العاصمة الجزائر، وفي الجزائر توجد مدرستان اهليتان هما مدرسة الشبيبة[١]

---

[١] **الطيب بن عيسى:** وبد سنة ١٨٨٥ بتونس من اصل جزائري ، درس بالزيتونة وساهم منذ نشأته في تحرير واصدار عدد من الصحف منذ مطلع القرن، في كل من تونس والجزائر كما انشأ في سنة ١٩١١ جريدة المشير ثم جريدة الوزير سنة ١٩٢٠ ، وكان من الرعيل الاول الذي ساهم في الحركة الوطنية، توفي سنة ١٩٦٦، **ينظر:** نفسه، ص١٣

[٢] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص١١٢

[٣] محمد صالح الجابري، المصدر السابق، ص١١٢

[٤] **حمزة بوكوشة:** اسمه الكامل حمزة شنوف المدعو بوكوشة ولد بوادي سوف عام ١٩٠٧ در في بداية حياته بمدينة بسكرة وفي سن ١٧ سنة انتقل إلى تونس وتخر من جامع الزيتونة عام ١٩٣٠ بشهادة التطويع، نشر العديد من المقالات في جريدة الوزير التونسية ساهم بمقالاته الإصلاحية بجريدة "الشهاب" وجريدة البصائر، عمل بسلك التعليم والقضاء، ثانوية عقبة "العاصمة"، توفي يوم الجمعة ١٤ جمادى الثاني ١٤١٥ الموافق ل ١٦ نوفمبر ١٩٩٤ عن عمر قارب ٨٧ سنة ، **ينظر:** محمد اسلام غويسم، عبد الرحمان حليس، اسهامات المثقفين الجزائريين في الحياة الفكرية والثقافية في تونس ١٩٠٠/١٩٥٤، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص مقاومة وحركة وطنية ، جامعة زيان عاشور، ٢٠٢٤/٢٠٢٥، ص٥١

[٥] **دلس:** هي مرسى بحرية صغرى تقع شرق عاصمة الجزائر، وتبعد عنها ١٠٨ اميال ، وتصل السيارات والقطار اليها، وهي فقيرة من جهة المحصولات وحصولاتها القمح ، والشعير والتين والزيتون، وبها مدرسة حكومية كبرى تعلم الصناعة من حدادة ونجارة، واتخذ اهلها صيد السمك ..**بيظر:** محمد الصالح الجابري، المصدر السابق، ص١١٧

ومدرسة السلام وبها نادي الترقي، الذي اسسته نخبة مفكرة كان اهمها الاستاذ احمد توفيق المدني[٢]، كما توجه في اليوم الموالي الى بوسعادة وذكر انها : بلدة جميلة وزار فيها ضريح المسلماني ناصر الدين ديني، الرسام الشهير صاحب كتاب الحج الى بيت الحرام.

ثم انتقل الى بسكرة في اليوم التاسع عشر من نفس الشهر ، ثم ولى وجهته نحو وادي سوف ثم الى بلدة الوادي التي يقول عنها انها ام بلدان سوف لوجود مركز الحكومة بها، وانها حديثة العمارة بالنسبة للقرى التي حولها، وهي شديدة التمسك بالحجاب.[٣]

- ✓ **مصادر معلومات الكتاب:**

نشرت هذه الرحلات في المجلات والصحف التونسية الصادرة خلال الثلث الاول من القرن الاول، فقد نشرت الرحلة الاولى في سنة ١٩٠٤ بمجلة السعادة العظمى للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين، وقد قام برحتله في اواخر سنة ١٩٠٤م، إلا أنه لم ينشرها الا عندما اصدر

---

[١] **مدرسة الشبيبة:** وجه الشيخ عبد الحميد بن باديس الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط نظرا لغزارة علمه ونبوغه، وكي يكون قائدا للحركة الإصلاحية والنهضة الإسلامية بها، فاستجاب مبارك الميلي لدعوة أستاذه وأهل المنطقة وتوجه إلى الأغواط خلال سنة ١٩٢٦م ورحب به الأغواطيون شبابا وكهولا وشيوخا، فأكرموه وأحبهم وأحبوه، ولما استقام له الأمر دعا إلى تأسيس جمعية تشرف على مدرسة لتعليم البنين والبنات وقد مهد لهذا العمل لحث على البذل والتعاون على الخير بواسطة الدروس والمحاضرات وخطب الجمعية بمسجد الأغواط العتيق الذي أصبح مدرسة للكبار، والتي انهالت عليها جميع فئات الأمة الأغواطية، فكانت هذه المدرسة تتصدى لكل ما هو طل لحق والجهل بنشر العلم، والجمود لإصلاح، وكان الأستاذ مبارك الميلي بمثابة موجه ومرشد ويسدد الخطى، وقد نتج عن هذا المجهود الكبير تأسيس مدرسة للصغار أطلق عليها اسم مدرسة الشبيبة ، **ينظر:** محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٤٦٩

[٢] **احمد توفيق المدني:** أحمد توفيق بن محمد بن احمد المدني قد ولد يوم ١٦ جوان ١٨٩٩م، بتونس وهو أصيل عائلتين جزائريتين هاجرتا الى تونس عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي بالجزائر قبل الثورة الكبرى للأخوين مقراني وكذلك سنة ١٨٧١_١٨٧٢، كان جده عمر بويراز قبل هجرته شيخ بلدية العاصمة الجزائرية، اما ابوه محمد فقد كان من كبار علماء الجزائر حيث تلقى علومه في الجامع الكبير، وبعد هجرته اقبل على العلم والمعرفة في جامع الزيتونة ليتولى بعدها امامة جامع زاوية الشيخ ابراهيم الرياحي، **انظر:** هادية صيود ، احمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح، مجلة عصور الجديدة، جامعة منوبة _ تونس، المجلد ٨، العدد١، ٢٠١٧_٢٠١٨ ، ص١٤٤

[٣] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص١٢٢

العدد الاول من مجلته في بداية السنة الموالية، ونشرت الرحلة الثانية بجريدة العصر الجديد، في سنة ١٩٢٢ وقد قا بها صاحب الجريدة نفسه الشيخ احمد حسين المهيري[١].

كما نشرت الرحلة الثالثة بجريدة لسان الشعب، خلال السنوات ١٩٧٧ و ١٩٢٨، و ١٩٢٩، وقد قام بها الشاعر التونسي سعيد او بكر، في مرحتين مختلفين من سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨م، اما الرحلتان الرابعة والخامسة فقد نشرتا بجريدة الوزير، قام بالاولى منها الصحفي المعروف الطيب بن عيسى، صاحب الجريدة المذكرة في سنة ١٩٢٧م وقام بالثانية الشاعر الجزائري حمزة بوكوشة في سنة ١٩٣٢.[٢]

خلاصة فصل:

خلص هذا الفصل إلى إبراز مكانة محمد صالح الجابري بوصفه باحثًا ومحققًا أسهم في إحياء نصوص رحلية ذات قيمة تاريخية، من خلال جمعها وتقديمها في إطار علمي يخدم الدراسات المغاربية. كما تبيّن أن اهتمامه بأدب الرحلة لم يكن مجرد اهتمام أدبي، بل ارتبط برغبة في توثيق الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

ومن خلال دراسة كتاب خمس رحلات إلى الجزائر اعتمادًا على القراءة الخارجية، اتضح أن العمل مرتبط بسياق تاريخي دقيق، يعكس ظروف الجزائر وتونس في أوائل القرن العشرين، بينما كشفت القراءة الداخلية عن غنى المادة الوصفية وتنوعها، حيث قدّمت الرحلات صورة متعددة الأبعاد عن المجتمع الجزائري.

وعليه، يتبيّن أن هذا الكتاب يُعدّ مصدرًا تاريخيًا مركبًا، يجمع بين الطابع الرحلي والتوثيق العلمي، مما يجعله مادة خصبة للتحليل، ومقدمة ضرورية للانتقال إلى دراسة الصورة التي رسمها الرحالة عن الجزائر في الفصل الموالي.

---

[١] المصدر نفسه، المقدمة.

[٢] نفسه.

الفصل الثالث:

صورة الجزائر الاجتماعية والثقافية في نظر محمد صالح الجابري

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر:

المطلب الأول: الواقع الاجتماعي والعادات والتقاليد.

المطلب الثاني: صورة المرأة والمظاهر الثقافية.

المبحث الثاني: الحياة العلمية والعمرانية في الجزائر:

المطلب الأول: مظاهر التعليم والحياة الفكرية.

المطلب الثاني: وصف المدن الجزائرية وخصائصها.

المبحث الثالث: النخب الفكرية والسياسية في رؤية الرحالة:

المطلب الأول: اللقاء بالعلماء والمصلحين.

المطلب الثاني: الشخصيات السياسية وانعكاسها في الرحلات.

تُعدّ الرحلات من المصادر التاريخية المهمة التي أسهمت في نقل صورة المجتمعات وتوثيق مظاهر الحياة فيها، إذ لا تقتصر أهميتها على الوصف الجغرافي فحسب، بل تمتد إلى رصد الأوضاع الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية. وفي هذا السياق، قدّمت الرحلات التي جمعها وحققها محمد صالح الجابري في كتابه خمس رحلات إلى الجزائر صورة متكاملة نسبيًا عن الجزائر خلال الفترة الممتدة بين ١٩٠٤ و١٩٣٢، حيث عكست ملامح المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، وأبرزت طبيعة الحياة اليومية والعادات والتقاليد، إلى جانب وصف المدن والحياة العلمية والفكرية.

كما كشفت هذه الرحلات عن طبيعة العلاقات التي جمعت الرحالة بالنخب الفكرية والسياسية الجزائرية، وهو ما يعكس عمق الروابط الثقافية والحضارية داخل الفضاء المغاربي. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا الفصل إلى دراسة صورة الجزائر الاجتماعية والثقافية في رؤية الرحالة، من خلال التطرق إلى مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، والحياة العلمية والعمرانية، إضافة إلى إبراز صورة النخب الفكرية والسياسية التي وردت في الرحلات.

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر:

المطلب الاول: الواقع الاجتماعي والعادات والتقاليد:

١_ الأسواق والحياة اليومية :

لقد تعددت وتنوعت الاسواق في الجزائر ففي تبسة حسب الشيخ احمد حسين المهيري سوق واسع لمساحة محكم البناء خصص نصفه لبيع الغلال والخضر، والنصف الاخر لبيع الحبوب وحوله دكاكين لبيع البقول والفواكه، ويقصده اهل البوادي يوما في الاسبوع لبيهم وشرائهم وبتلك المساحة عدة دكاكين لبيع الحبوب والتمر وغيره.[١] وقد وجد في نفس الرحلة بمدينة مسكيانة سوقا اسبوعيا،[٢] وأما في مدينة باتنة وجد بها اسواق ومن الوافدين اليها من سكان البادية والمدن المجاورة ، من المسلمين واوربيين وإسرائيليين، وكان الناس الموجودين بالأسواق كثيرين جدا[٣] .

وفي مدينة قالمة ذكر سعيد ابو بكر ان بها سوقا كبيران منظمان تنظيما عجيبا احدهما يطلقون عليه سوق الخضرة وهو جميل جدا، والثاني يسمونه السوق العربي وهو عبارة عن سوق واسع جدا يحيط به برطال كبير من جميع جهاته التي جعلوا في كل واحدة منها باب كبيرا، وهو من جهة ما يباع فيه اشبه بشيء بسوق النحاس .[٤]ونجد في مدينة تبسة ان الحركة التجارية كانت كبيرة جدا وذات اهمية على قد اهمية المراكز التي تحيط بها وكثرة العمران

[١] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٥١

[٢] نفسه ، ص٥٢

[٣] نفسه ، ص٥٧

[٤] نفسه ، ص٨٥

فيها، ولكنها كانت محصورة لدى فئة معينة هم جماعة بني ميزاب المشهورين بالحزم والنشاط[1] .

٢_ سباق الخيول وأشكال الترفيه:

ذكر احمد حسين المهيري سباق الخيول انه قام بمدينة باتنة، في حدود الساعة الاولى بعد الزوال أقلبت العربات والسيارات الكهربائية وكانت كثيرة جدا وذلك لحمل المتفرجين الى مكان المسابقة الذي يبعد عن المدينة بنحو ثلاثة اميال ، فضاق المكان الذكور على سعته بالمتفرجين والمتفرجات، ولما كانت الساعة الثالثة بعد الزواج ابتدئت المسابقة، وقد نجح في هذا السباق احد الفرسان الاهليين الذين هو من سكان البادية، فجاء هو الاول والجائز لقصب السبق في ذلك المضمار المشهود[2] .

وفي نفس السياق ذكر سعيد ابو بكر انه دخل باتنة في يوم سباق الخيول فيقول: (**كان هذا اليوم بباتنة، يوم سباق الخيل يوما عظيما، وكانت الانهج كلها ملأى بأولئك الذين جاءوا من بعيد بخيلهم للمشاركة في السباق سعيا وراء الحصول على جائزة مالية كبرى**)[3]

٣_ انتشار المقاهي ودورها الاجتماعي:

كما ذكر سعيد ابو بكر انه دخل مدينة قسنطينة ما بين سنتي ١٩٢٧_١٩٢٨م فوجد فيها المقاهي الاوروبية منتشرة كثيرة اكثر من المقاهي العربية، ويصف الناس الموجودين هناك بقوله: (**فترى الناس جالسين على حصير متسع يلوح عليه انه مصنوع خصيصا اليهم**

[1] نفسه ، ص ٩٤

[2] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٥٨

[3] المصدر نفسه ، ص١٠٠

وهم عاكفون على لعب الدومينو وربما لعبوا الداما في بعض الاحيان او النردشير، فيبعض الجهات اما الكارطة فلم اوهم يستعملونها الا في المقاهي الافرنجية وهي نعمة نغبطهم عليها)، ويضيف قائلا: **(لا يكاد يجلس الانسان في المقهى الاوروبي حتى تحيط به جميع الكلاب التي أبصرته وما اكثرها فلا يكاد يأتي القرصون بما يطلبه حتى تطول اعناق تلك الكلاب الى الطاولة ولا تغادره الا اذا من الله عليه بقدوم رجل أخر جلس في مكان آخر، وقد رايتهم لا يبخلون على تلك الحيوانات بكل ما يستغنون عليه من السكر فاتخذتها عادة واقبح بها من عادة)**[1].

٤_ مظاهر الفقر والأوضاع المعيشية:

ولاحظ سعيد ابو بكر ملامح الفقر بين سكان المجتمع الجزائري ، فذكر: **(أما الشيء الذي يؤسف له عندهم اكثر مما يؤسف عندنا فهو ضياع جانب مهم من الشبيبة في الشوارع والازقة ، وكثرة اللماعين الشياتة في ساحة باب الوادي فلا يكاد الانسان يصل الى تلك البقعة حتى يجيطوا به وهو يقولون نسيريلك بتشديد اللام او تستيرجو وكم يكون الاسف شديدا عندما يراهم الانسان صغارا في مقتبل العمر وفي زهرة الشباب، وهم يحملون ذلك الصندوق المشوم مع بشرة نقية ووجه صبوح)** [2] .

العادات والتقاليد:

واشار سعيد ابو بكر إلى ان من عادات الجزائريين تسمية اولادهم باسم محمد ولكنهم يجعلون منه عدة اسماء اخرى ، ينادون بها الولد ان كان عزيزا عند ابويه منها : حمه و حمانه، واذا كان الولد عزيزا جدا قالو موحند بكسر الحاء وكسر النون وسكون الدال، وفي

[1] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص ٧١

[2] نفسه .

العاصمة وبعض مدن العمالة من يطلقون حمادي على ولدهم اذا كان اسمه محمدا وعلالة اذا كان اسمه عليا[1] .

المطلب الثاني: صورة المرأة والمظاهر الثقافية:

وتعتبر مدينة العين البيضاء اكثر مدن الجزائر التي يمكن ان يشاهد فيها المرأة ، ويرجع سبب ذلك حسب سعيد ابو بكر، ان السبب الوحيد في كثرة النساء المشتغلات بالبيع والشراء في شوارع البلدة هو انشغال اهلها بالألعاب وتفويت مصالحهم الشخصية، وفي وصف النساء قال : (**...ان الذي يظهر على نساء العين البيضاء هو كثرة الوشام الامر الذي أثر على جمالها، وأفسد لها وجهها رغما عن كونه يظهر عليه الذوق السليم ودقة الصناعة، واكثر ما تستعمل المرأة هناك الوشام في خديها واذا اضافت عليه شيئا ففي جبهتها وفي ذقنها)**[2].

المبحث الثاني: الحياة العلمية والعمرانية في الجزائر

المطلب الاول: مظاهر التعليم والحياة الفكرية:

وذكر محمد الخضر بن حسين انه في يوم ٩ رمضان الموافق ليوم ١٦ نوفمبر ١٩٠٤ اتجه نحو مدينة قسنطينة فوجد فيها مدرسة اسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول ، كما ذكر انه يوجد بقسنطينة ثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة : الجامع الكبر و الجامع الاخضر[3] وجامع

[1] المصدر نفسه ، ص٩٨

[2] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٩٦

[3] **الجامع الاخضر: تم** تأسيسه سنة ١٢٥٦هـ، وبه مكتبة عمومية تحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة . **ينظر:** نفسه، ص٣١

سيدي الكتاني ، وفي وصف الاخير قال: **(وفي هذا الجامع منبر من الرخام موقوم فيه بيت من الشعر يتضمن اسم مؤسسه وتاريخ تأسيسه وهو**[1] **:**

بنى منبرا بالعز والنصر صالح

له سبل الخيرات، تاريخه رشد

كما يضيق ان في الجزائر العاصمة مدرسة تدعى الثعالبية التي تم تأسيسها سنة ١٧ أكتوبر ١٩٠٤م، وهي مدرسة لتعليم الوطنيين العلوم العقلية والنقلية ومنا يتخرج القضاة والعدول[2].

وفي مدينة قسنطينة ذكر الشيخ احمد حسين المهيري انه زار مع السيد مامي اسماعيل بن عدة الجمعية الخيرية الاسلامية، فوجد فيها قاعات متعددة لعلاج مختلف الامراض ، لكنه لم يجد بها قاعة لعلاج مرض الجهل حسب قوله: **(مع الاسف لم نجد بالجمعية محلا لمعالجة المرض الاكبر الخطير مرض الجهل الفتاك أي مدرسة علمية، لبث نور العلوم والمعارف، وبما انها تعالج اجساد المصابين بالأمراض الحسية يجب ان تعالج ارواح المصابين بأدواء الجهل المعدية.)**[3]. كما يضيف انه قد اجتمع بكثير من اعيان البلاد فوجدهم متعطشين للمدارس القرآنية ومنتقدين للجمعية الخيرية في تهاونها في تعليم ابناء الفقراء ، والحال انها في امكانها تعليمهم.

ويلاحظ في الجزائر في تلك الفترة نقص اللغة العربية وطغيان اللغة الفرنسية في الجزائر ، حيث يذكر سعيد ابو بكر ان في مدينة باتنة، حيث قال: **(في مدينة عنابة او بون كما**

[1] نفسه ، ص٣١

[2] نفسه ، ص٣٤

[3] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٥٥

تسمى اليوم في الجغرافيا عند الاوربيين، يكاد الانسان يحس بان الكتابة والقراءة العربية قد اصبحتا مفقودتين بصورة يستحيل عليه اداؤها باللغة العربية) [1]، ويضيف ايضا: **(وعند جلوسنا بقهوة الدفينوا ان رجلا كان يكلمنا بالعربية، و لما ادرك تلعثمه طلب مني ومن الشيخ عبد الرحمان التونسي ان يتفاهم معنا باللغة الفرنساوية، معترفا بان ذلك اسهل عليه وانسب له، وقد كان الصديق عبد الرحمان اثناء جولاتنا يشير الى عدة انفار يسميهم لي ويختم كلامه بانهم لا يحسنون العربية بالمرة، ولولا ما رايته من اشتغال الاباء بأمر ابنائهم في هذا الجيل ، ومن العناية التي اصبحوا يبذلونها في شان تعليمهم اللغة العربية لأمنني ان اقول هذه اللغة هي الان بهاته المدينة في دور الاحتضار)**[2].

واضاف حمزة بوكوشة ان في الجزائر مدرستان اهليتان وهما مدرسة الشبيبة ومدرسة السلام وبها نادي الترقي الذي اسسته نخبة مفكرة كان قطب رحاها الاستاذ احمد توفيق المدني، وبها نادي اخر اسسه رئيس الجماعة المنشقين عن جمعية العلماء المسلمين ويسمى نادي الاخوة.[3]

واما في مدينة تبسة لاحظ السيخ سعيد ابو بكر ان الحركة العلمية في تلك المدينة ضئيلة جدا ، والحركة الادبية تكاد تكون منعدمة والصحف العربية والتونسية مفقودة.[4]

كما يوجد في بسكرة مدرسة الايخاء التي اسست سنة ١٣٥٠ وعلى انقاض مكتب العرفان والفضل في انشاء ذلك المكتب بتلك الاصقاع للجنة التحضيرية التي شرعت في تأسيس جمعية خيرية لنشر التعليم الابتدائي ، وكان بين تلك اللجنة الاسناد الزاهري .[1]

---

[1] المصدر نفسه، ص٨٤

[2] نفسه .

[3] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص١١٨

[4] المصدر نفسه ، ص٩٥

المطلب الثاني: وصف المدن الجزائرية وخصائصها:

١- الجزائر العاصمة:

وفي وصف مدينة الجزائر قال محمد الخضر بن حسين: (**وفي السعاة الثامنة اشرفنا على عاصمة الجزائر فتراءت لنا مصابيح أنوارها بمنظر أنيق واشكال متناسقة، وذلك لان المدينة قائمة على اكمة مرتفعة، يبتدئ العمران من اعلاها ثم يمتد متدليا الى شافة البحر، فيبصر الداخل عند استقبال شوارعها المنورة، وهي طبقات بعضها فوق بعض، رونقا مليحا)**[٢].

٢-البليدة:

ذكر الشيخ الطيب بن عيسى ان البليدة هي بلاد عربية آهلة بالمسلمين ، وهي كثيرة المياه ، وبها مصب لمنبع كبير في وسط المدينة ، وهي تبعد عن الجزائر بنحو ٦٠ كلم وبها منتزه عمومي على ضفة الوادي[٣] .

٣-تبسة:

وفي وصف تبسة نجد الشيخ احمد حسين المهيري قد زارها سنة ١٩٢٢ ، وقال عنها: (**وقد دخلناها فألفيناها مدينة يحيط بها سور محكم البناء، في غاية الارتفاع، يدل على مهارة البنائين الذين شادوه وبالمدينة اربعة ابواب وبعض آثار رومانية، منها كنيسة يقصدها السواح ، وقد حافظت عليها الحكومة محافظة تامة، وجعلت حراسا يحرسونها وينظفونها ولكثرة الاعتناء بها يظن المتسوح انها حديثة البناء، وبتبسة جامع واحد لصلاة الجمعة والصلوات الخمس، وهو ايضا في غاية النظافة والحسن والبهرجة، وسكانها جلهم مسلمون**

[١] المصدر نفسه ، ص١١٩

[٢] نفسه ، ص٣٤

[٣] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص ص ١١١_١١٢

وبها جالية اوروبية قليلة جدا، زاهلها في غاية اللطافة والكياسة واكرام الضيوف والفرح، وقد لاقينا منهم كل حفاوة واكرام...)[1]. كما بها عين يشرب منها السكان، وتحيط بها البساتين وبناءات عصرية فيلات جميلة جدا [2].

ونجد الشيخ سعيد ابو بكر ايضا يصف تبسة بانها لها اربعة ابواب واحد من الشمال واسمه باب الخديمة، والثاني من الغرب واسمه قسنطينة والثالث من الشرق واسمه باب سلامبو وباب اخر من الجنوب، وفتح باب اخر بعد استيلاء فرنسا عليها، اما شكلها فكان جميلا، والمناظر التي يراها القادم الجديد تجعله يعتقد انها بلاد حديثة اقيمت بناية بعد بناية الى ان تمت.[3]

٤-العين البيضاء:

وصف الشيخ احمد حسين المهيري مدينة عين البيضاء فقال: **(أما مدينة العين البيضاء فإنها مدينة جميلة ، بها مياه عذبة تنبع من عين قريبة من المدينة، وتلك المياه خفيفة على المعدل، وهواؤها معتدل ممزوج بالبرودة).**[4]

٥-بسكرة :

ووصف سعيد ابو بكر مدينة بسكرة انها بلاد جميلة يؤمها السواحل من جميع بلدان العالم واحسن ايامها في آخر الخريف واول الشتاء ولذلك فان الحانات فيها كثيرة واسعارها تتراوح بين

[1] المصدر نفسه ، ص ص٥٠_٥١

[2] نفسه ، ٥١

[3] نفسه ، ص٩١

[4] محمد صالح الجابري ،المصدر السابق ، ص٥٣

اثنى عشر فرنكا وخمسين فرنكا وبها عدة بساتين عمومية تتخلل بعضها المياه الجارية على طول السنين والتي تتفرق بعد ذلك لتسقي الاملاك الخصوصية[1].

٦-قالمة :

تقع قالمة بين سوق اهراس وقسنطينة ، ووصفها الشيخ الطيب بن عيسى بانها بلاد جميلة مرتفعة عن سطح الارض، وجمالها ليس بموقعها الطبيعي فقد بل حتى من تنظيمات شوارعها وتنويرها بالضوء الكهربائي الذي يظهر مفعوله ليلا[2] .

كما وصف سعيد ابو بكر مدينة قالمة بانها مدينة تشبه المدن الافرنجية اكثر من العربية ، فبناءاتها شاهقة ومغازات متسعة تصلح لتريض النفس والراحة من متاعب الحياة، وهي عبارة عن حومة كبيرة ليس فيها الا المقاهي والمطابخ التي لا تحصى ولا تعد لكثرتها.[3]

٧-قسنطينة :

كما وصف الشيخ احمد حسين المهيري مدينة قسنطينة بقوله: **(يوجد بمدينة قسنطينة واد عميق جدا وخير مياهه يسمع بشدة قوية، وهو فاصل بين المحطة والمدينة، وعليه ثلاثة قناطر عظيمة، احداها امام محطة السكة الحديدية، والثانية بمكان يسمى باردو والثالثة مرتفعة على راس جبلين متقابلين ومربوطة بالسلاسل الحديدية، بغاية الاحكام)**[4].

وأضاف عنها قائلا: **(وبمدينة قسنطينة ساحات عديدة نخص بالذكر منها " ساحة لابروش" ، التي بها " ادارة البوسطة،" و" مركز الترام " وبها المسرح البلدي، وقد شرعت الجكومة بجعل تذكار للحرب الكبرى بهذه الساحة وهو عبارة عن عمود مستطيل باعلاه**

[1] المصدر نفسه ، ص٧٧

[2] نفسه ، ص١٠٩

[3] نفسه ، ص٨١

[4] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص٥٦

ديك من النحاس الاصفر ، وحول العامود اسماء الجنود والضباط من مدينة قسنطينة الذين ماتوا بصف القتال_ وهو لم يتم بناؤه حتى الان)[1].

المبحث الثالث: النخب الفكرية والسياسية في رؤية الرحالة:

المطلب الاول: اللقاء بالعلماء والمصلحين:

وذكر محمد الخضر بن حسين انه قصد مدينة عين البيضاء يوم ٧ رمضان الموافق ليوم ١٤ نوفمبر ١٩٠٤م والتقى ببعض اهل العلم امثال الشيخ محمد العربي بن قشوط، والشيخ المسعود بن علي والشيخ احمد بن ناجي ، وقد طرحت بعض المسائل بينهم من بينها مسالة الفرق بين الكل والكلية وقال الحسين في ذلك الامر: **(ومن المسائل التي طرحت بيننا مسالة الفرق بين الكل والكلية ، فقررنا ان نقول كل ذلك لم يكن لما قال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت؟ هو من باب الكلية لا من باب الكل كما يقول بعض المصنفين بدليل قول ذي اليدين: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، وقوله في الرواية الاخرى: ما قصرت الصلاة وما نسيت، وان المعنى كل ذلك لم يكن في ظني فيكون مطابقا للواقع والاعتقاد ولا داعي الى تأويل الحديث بتوجيه النفي الى المجموع، بل لا يصح تخريجه على ذلك)**[2] .

كما التقى الشيخ محمد الخضر بن حسين كذلك بالشيخ عبد الحليم بن سماية[3]، وقال عنه: **(فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلب ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر، ولم نلبث معه عند**

[1] نفسه ، ص٥٧

[2] محمد صالح الجابري ،المصدر السابق ، ص٣٠

[3] **عبد الحليم بن سماية:** هو الشيخ عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمان بن حسن خوجة وخدوجة بنت امير خوجة، ولد في سبتمبر ١٨٦٦، ينتمي لعائلة من اشهر العائلات العاصمية، وهو يعتبر من اعلام الاصلاح في الجزائر خلال اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، ينتمي للرعيل الاول الذي اسس للفعل الاصلاحي رفقة رواد الاصلاح كالمجاوي وابن موهوب وابن الخوجة، وعلى الرغم من كونه قليل التأليف والتحرير الا انه كان مؤلفا للعقول بالتعليم والاصلاح حيث اشتغل

هذه الملاقاة الا مدة قصيرة المر عارض حال بيننا وبين استطالة الجلسة، ومما يدل على صلاح حال هذا الرجل وصفاء سريرته انه ما جرى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الا ارتعد صوته وفاضت دموعه) [1] .

والتقى محمد الخضر بن حسين أيضا بالعالم الشهير عبد القادر المجاوي[2]، في مسجد سيدي محمد الشريف، وفي صفاته يذكر ان الشيخ له خلق عظيم في معاملته لتلاميذه طريقا وسطا لا ينحط عن مكانة غزة النفس ، ولا يرتفع عن سماحة التواضع تحمله عواطف النسب العلمي عن العناية بشؤونهم وبذل الوسع في قضاء مآربهم ويصده علو الهمة عن مجاراتهم فيما يزري بخطته الشريفة، ويضيف ايضا : **(ولعل هذا الخلق الذي لا يتبل الرجل الا به هو الذي غرس له في قلوب الجمهور مودة واحتراما وغالب القضاة وعدول المملكة الجزائرية تخرجوا على يديه، لأنه كان درس بقسنطينة ايضا سنين متطاولة)** [3] .

المطلب الثاني: الشخصيات السياسية وانعكاسها في الرحلات:

مدرسا لمواد الفقه واللغة في المدرسة الثعالبية وفي نفس الوقت اماما وخطيبا بمساجد العاصمة. **ينظر**: أمحمد درواي، اضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الاصلاحية ١٨٦٦_١٩٣٣، مجلة عصور ، العدد ٣٦، جويلية _ سبتمبر ٢٠١٧، ص٣١٦

[1] محمد صالح الجابري ،المصدر السابق ، ص٣٥

[2] **عبد القادر المجاوي (١٨٤٨_١٩١٤م)**: يعد الشيخ عب القادر المجاوي من اعلام الجزائر الذين كانت لهم بصمات في الحياة الثقافية وتأثيرات عميقة في بعث الحركة الاصلاحية فيها، ورمز من رموز الصمود اما الاستعمار الفرنسي نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، ومن العلماء المصلحين الذين كان لهم الفضل السبق في شق الدرب الذي سار عليه زعماء الحركة الاصلاحية في الجزائر دون الخوض في المنابر السياسية المباشرة والتي غالبا ما تؤدي باصحابها الى السجون او النفي، حضي بلقب محافظ مجدد، في آن واحد ولغزارة علمه واهمية نشاطه استطاع ان ينتزع لقب شيخ الجماعة وان يحظى بلقب اب النهضة الجزائرية الحديثة، بتركيزه على ثلاثية العلم الدين والوطن، توفي في سنة ١٩١٤م.**ينظر**: سليم اوفة، الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة ١٨٤٨_١٩١٤م، مجلة قضايا تاريخية، العدد ٠١، ٢٠١٦ ، ص٦٥،

[3] محمد صالح الجابري ،المصدر السابق ، . ص٣٨

وذكر الشيخ احمد حسين المهيري انه في سنة ١٩٢٢ في مدينة عين البيضاء قد التقى مع الكاتب الوطني الغيور المخلص السيد الامير خالد[١] مدير جريدة الاقدام الجزائرية ، ويصفه بقوله: **(هو رجل شجاع ذو همة سامية واخلاق راقية ، طويل القامة، كثيف اللحية كريم الطباع حسن الاخلاق، متواضع ذو غيرى وطنة، حر الضمير ، مخلص لوطنه وهو عنصر بالمجلس المحلي العام بمدينة الجزائر وله عدة وسامات فرنسية منها وسام " الليجيون دونور")**[٢].

وفي الجزائر نادي الترقي الذي يمثل تنسيقا وتنظيما عالي الطراز، وهو فخر الشبيبة ومظهر قابليتها للصعود الى اوج التقدم لان النادي ضم نخبة النابتة واهلها للتضامن على احياء لغة البلاد بالمحاضرات والمسامرات التي تلقى به من عظماء الرجال في المواضع المختلفة [٣] .

خلاصة الفصل:

ومما سبق يمكن القول أن الرحلات التي جمعها وحققها محمد صالح الجابري قدّمت صورة ثرية ومتنوعة عن المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، حيث عكست مظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة، كما أبرزت طبيعة الحياة اليومية وما ارتبط بها من مظاهر ثقافية وترفيهية، إضافة إلى تقديم صورة عن المرأة الجزائرية ومكانتها داخل المجتمع.

[١] **الامير خالد:** هو الامير خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر، ولد في احضان مدينة دمشق يوم ٢٠ فبراير ١٨٧٥م، نشا في دمشق وانتسب الة كليو سان سير العسكرية سنة ١٨٩٣ وتخرج برتبة ضابط سنة ١٨٩٧م، كان رجل الرفض والمقاومة، فقد دخل الساحة السياسية في الجزائر كبقية الشبان الجزائريين من ١٩١٣م،...**ينظر:** غانم بدون، مساهمة الامير خالد في بناء الحياة السياسية في الجزائر ١٩١٩_١٩٢٤، مجلة قضايا تاريخية، العدد ٠٣، ٢٠١٦، ص75

[٢] محمد صالح الجابري ،المصدر السابق ، ص٥٣

[٣] محمد صالح الجابري، المصدر السابق ، ص١١١

كما كشفت الرحلات عن اهتمام الرحالة بالحياة العلمية والفكرية، من خلال حديثهم عن المدارس والمؤسسات التعليمية والحركة الثقافية، إلى جانب وصفهم لعدد من المدن الجزائرية وخصائصها العمرانية والاجتماعية، الأمر الذي ساهم في تقديم تصور شامل عن الواقع الجزائري آنذاك.

ومن جهة أخرى، أبرزت هذه الرحلات مكانة النخب الفكرية والسياسية في المجتمع الجزائري، من خلال اللقاء بعدد من العلماء والمصلحين والشخصيات السياسية، وهو ما يعكس حيوية الحركة الفكرية والوطنية في الجزائر خلال تلك المرحلة. وعليه، يتضح أن هذه الرحلات لم تكن مجرد نصوص وصفية، بل مثّلت مصدرًا تاريخيًا مهمًا أسهم في توثيق صورة الجزائر الاجتماعية والثقافية والفكرية في مطلع القرن العشري

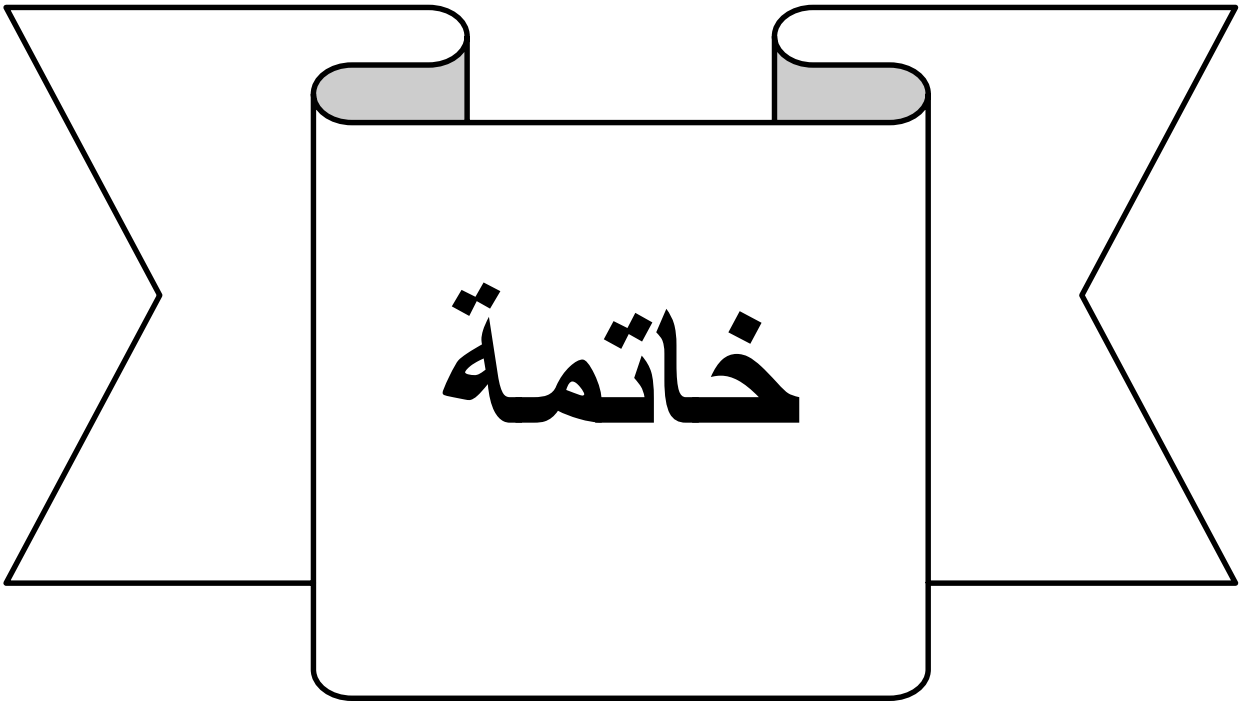
خاتمة

بعد رحلة علمية في ثنايا كتاب »**خمس رحلات إلى الجزائر (١٩٠٤-١٩٣٢** «(الذي قام بجمعه وتحقيقه محمد صالح الجابري، أمكن الوقوف على جانب مهم من جوانب التاريخ الثقافي والفكري للمغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهو جانب ظل لفترة طويلة بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، بالنظر إلى ما تزخر به الكتابات الرحلية من معلومات ومعطيات تاريخية تسهم في فهم أوضاع المجتمعات وتطورها. فقد شكلت الرحلة عبر مختلف العصور وسيلة للتواصل الحضاري والتبادل الثقافي بين الشعوب، كما كانت أداة لتسجيل الملاحظات والانطباعات حول مختلف الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

١. وقد سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على صورة الجزائر في الرحلات التونسية الواردة في كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر»، وذلك من خلال تحليل مضامينها والكشف عن أهم القضايا التي تناولها أصحابها، بالإضافة إلى إبراز القيمة التاريخية للكتاب باعتباره مصدرًا من المصادر التي توثق جوانب متعددة من واقع الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي.
٢. ومن خلال دراسة الإطار العام للرحلات التونسية إلى الجزائر، تبيّن أن هذه الرحلات لم تكن مجرد تنقلات عابرة أو زيارات ذات أهداف شخصية، بل جاءت في سياق تاريخي خاص تميز بوجود روابط جغرافية وحضارية وثقافية عميقة بين الجزائر وتونس. وقد ساعد هذا القرب الجغرافي والتاريخ المشترك على تنامي الاهتمام المتبادل بين النخب الفكرية والثقافية في البلدين، الأمر الذي انعكس بوضوح في كتابات الرحالة التونسيين الذين أبدوا اهتمامًا ملحوظًا بالأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر خلال الفترة المدروسة.
٣. كما كشفت الدراسة أن الرحلة لم تكن مجرد أداة لوصف الأماكن وتسجيل المشاهدات، بل تحولت إلى وسيلة للتعبير عن المواقف الفكرية والثقافية، وإلى منبر لنقل صورة المجتمع الجزائري إلى القارئ التونسي والمغاربي عمومًا. ولذلك اكتسبت النصوص

الرحلية أهمية خاصة باعتبارها تجمع بين الشهادة المباشرة والرؤية الذاتية للرحالة، وهو ما يمنحها قيمة تاريخية وأدبية في الوقت نفسه.

٤. وفيما يتعلق بمحمد صالح الجابري، فقد أظهرت الدراسة أنه لم يكن مؤلفًا للرحلات بقدر ما كان جامعًا ومحققًا لها، حيث قام بجمع عدد من النصوص الرحلية التونسية المتعلقة بالجزائر وتقديمها في إطار علمي منظم، الأمر الذي أسهم في الحفاظ على هذا التراث الرحلي من الضياع، وسهّل مهمة الباحثين في الاستفادة منه واستنطاق مضامينه. كما تبرز أهمية الجابري في كونه أدرك القيمة التاريخية لهذه الرحلات، فعمل على إخراجها في مؤلف واحد يتيح للدارسين الاطلاع على رؤية مجموعة من الرحالة التونسيين للجزائر خلال فترة زمنية مهمة من تاريخها الحديث.

٥. وقد أظهرت هذه الرحلات أن الجزائر كانت حاضرة في الوعي التونسي باعتبارها بلدًا شقيقًا يجمعه بتونس تاريخ مشترك وروابط حضارية وثقافية متينة. لذلك جاءت أوصاف الرحالة في كثير من الأحيان مشبعة بروح التعاطف والإعجاب، خاصة عند الحديث عن تمسك الجزائريين بدينهم ولغتهم وتقاليدهم رغم الضغوط الاستعمارية. كما عكست هذه الرحلات اهتمامًا واضحًا بالحركة الثقافية والفكرية التي كانت تشهدها الجزائر، وبجهود العلماء والمصلحين في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية.

٦. ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة أن صورة الجزائر في هذه الرحلات لم تكن صورة أحادية الجانب، بل جاءت متعددة الأبعاد، حيث تناولت الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والعمرانية في آن واحد. وقد ساعد هذا التنوع في تقديم صورة أكثر شمولًا عن المجتمع الجزائري خلال الفترة المدروسة، كما أتاح للباحث فرصة التعرف إلى عدد من التفاصيل التي قد لا نجدها في المصادر الرسمية أو الوثائق الإدارية.

٧. كما أكدت الدراسة أن أدب الرحلة يمثل مصدرًا تاريخيًا مهمًا لا يقل قيمة عن غيره من المصادر، خاصة عندما يتم التعامل معه وفق منهج علمي يقوم على النقد والمقارنة والتحليل. فبالرغم من الطابع الذاتي الذي يميز كثيرًا من الكتابات الرحلية، فإنها تبقى

شاهدة على عصرها، وتعكس جانبًا من الواقع الذي عايشه أصحابها، وهو ما يمنحها أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية والاجتماعية والثقافية.

٨. وعلى الرغم من النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فإن موضوع الرحلات المغاربية لا يزال مجالًا خصبًا للبحث، خاصة في ظل وجود عدد كبير من النصوص الرحلية التي لم تحظ بعد بالدراسة والتحليل. ومن هنا يمكن اقتراح مجموعة من الآفاق البحثية المستقبلية، من بينها دراسة الرحلات الجزائرية إلى تونس، أو إجراء مقارنات بين الرحلات المغاربية والرحلات الأوروبية، أو البحث في صورة المجتمع المغاربي في أدب الرحلة خلال العصر الحديث.

٩. وفي الختام، يمكن القول إن كتاب «خمس رحلات إلى الجزائر» لا يمثل مجرد مجموعة من النصوص الرحلية، بل يشكل وثيقة تاريخية وثقافية مهمة تسهم في فهم جانب من تاريخ الجزائر المعاصر، كما يعكس طبيعة العلاقات الفكرية والثقافية التي ربطت بين شعوب المغرب العربي. ومن ثم فإن الاهتمام بهذا النوع من المصادر يبقى ضرورة علمية تفرضها الحاجة إلى تنويع زوايا النظر إلى التاريخ، واستثمار مختلف الشهادات والنصوص التي تحفظ لنا ذاكرة الماضي وتساعدنا على فهمه فهمًا أعمق وأكثر شمولًا.

الملاحق

الملحق رقم ١: صورة شخصية لمحمد الصالح الجابري:[١]

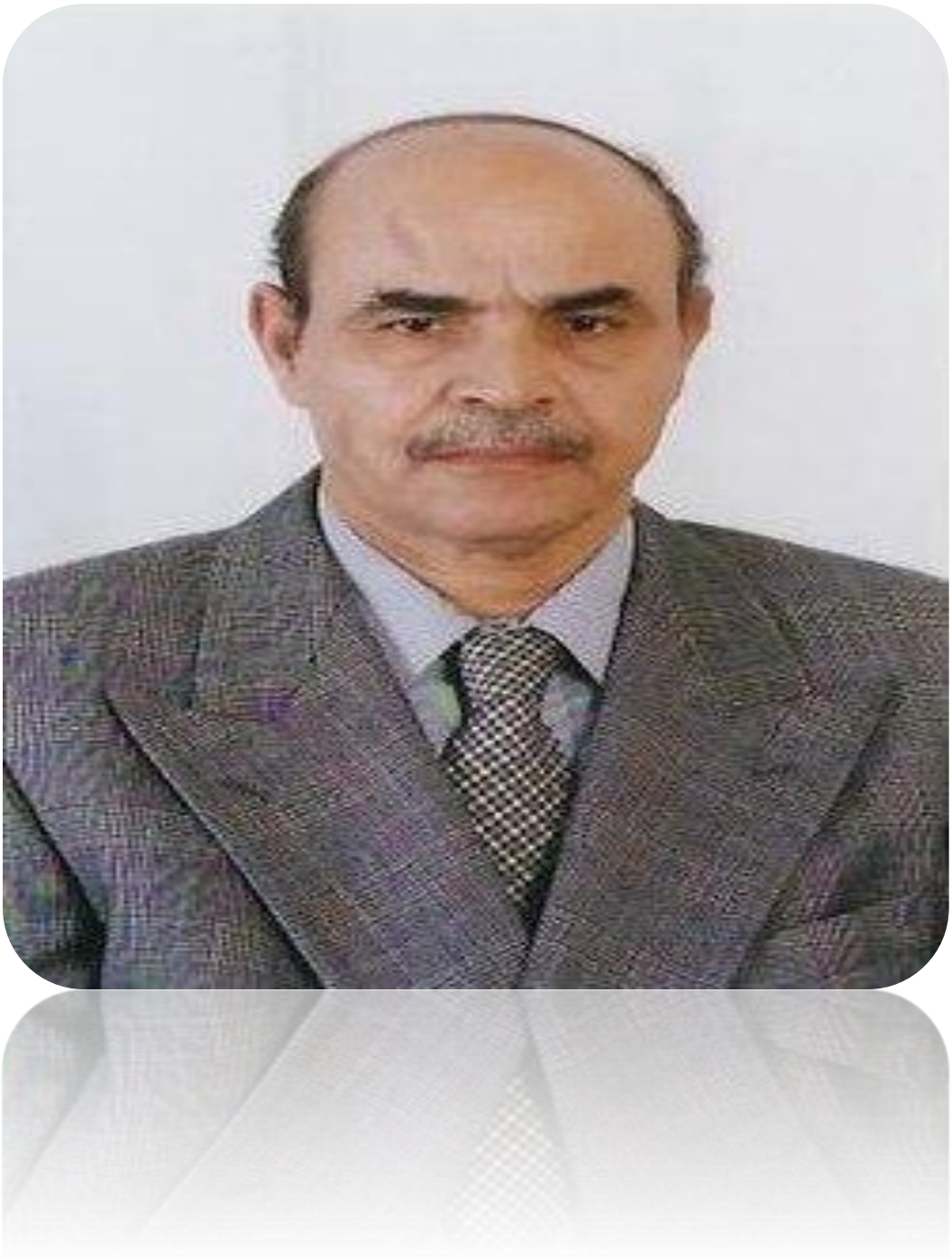

[١] https://ar.wikipedia.org/wiki/

الملحق رقم ٢: واجهة مؤلفات محمد صالح الجابري:[١]

[١] https://ar.wikipedia.org/wiki/

الملحق رقم ٣: واجهة كناب خمس رحلات الى الجزائر:[١]

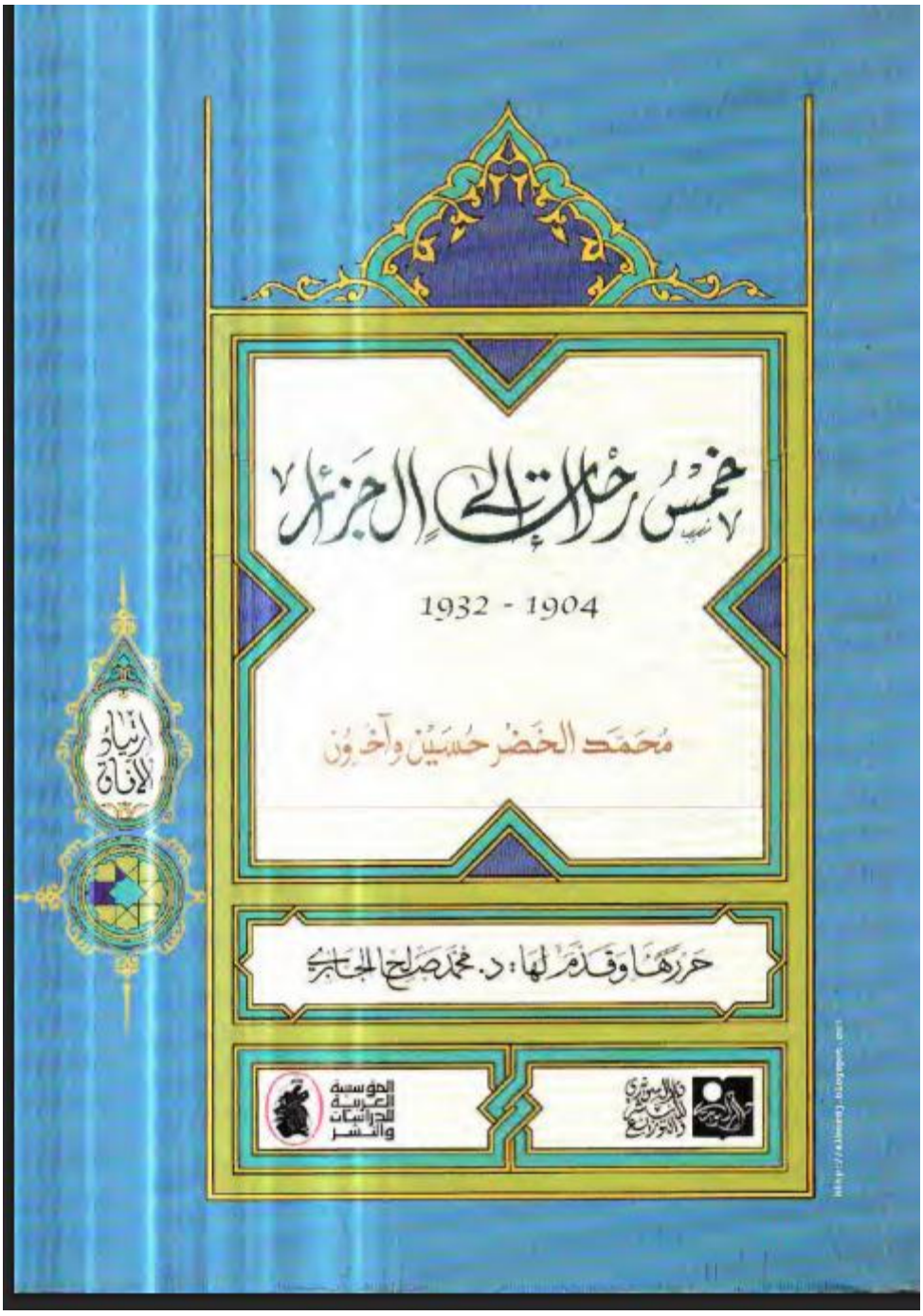

١ محمد صالح الجابري، المصدر السابق، الواجهة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر باللغة العربية:

١) الجابري، محمد صالح، خمس رحلات إلى الجزائر ١٩٠٤-١٩٣٢م (محمد الخضر حسين وآخرون)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

٢) الجابري، محمد صالح، رحلات جزائرية، ط٤، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤.

٣) الخضر حسين، محمد، محاضرات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٢.

٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج٢، دار الكتب العربية، د.ط، د.ت.

٥) المكناسي، محمد بن عثمان، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، د.ت.

٦) ثعالبي، عبد العزيز، تونس الشهيدة، ترجمة سامي الجندي، دار القدس، بيروت،١٩٧٥

ثانيًا: المصادر باللغة الأجنبية:

1) Julien, Charles André, L'Afrique du Nord en marche: Nationalisme et souveraineté française, Julliard, France, 1972.

ثالثًا: المراجع العربية:

١) ابن عدة، عبد المجيد، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٣.

٢) المحجوبي، علي، جذور الحركة الوطنية التونسية ١٩٠٤-١٩٣٤، ترجمة عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٩٩.

٣) بحوص، عمار، "أسباب الهجرة إلى فرنسا"، مجلة الثقافة، ع٢٣، أفريل-ماي ١٩٧٣.

٤) بكاري، عبد القادر، "الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري: رحلة أبي راس الناصري أنموذجًا"، مجلة عصور الجديدة، ع١٩-٢٠، جامعة وهران، أكتوبر ٢٠١٥.

٥) بن عبد الله، الطاهر، الحركة الوطنية التونسية: رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠-١٩٠٠م، ط٢، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة.

قائمة المصادر والمراجع:

٦) جوادي، محمد، محمد الخضر حسين، ط٤، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧) خليفي، عبد القادر، "الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية"، مجلة المواقف، العدد ٤، ٢٠٠٩.

٨) درواي، أمحمد، "أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية ١٨٦٦-١٩٣٣"، مجلة عصور، العدد ٣٦، ٢٠١٧.

٩) رابح عمامرة، تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣١-١٩٥٦ ورؤساؤها الثلاثة، موفم للنشر، ٢٠٠٤.

١٠) سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج٢، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.

١١) شرابي، يسمينة، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، ٢٠١٢-٢٠١٣.

١٢) الشاهد، الحسن، أدب الرحلة بالمغرب، دار عكاظ للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

١٣) ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.

١٤) عاشور، محفوظ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة البليدة ٢، ٢٠٢٢-٢٠٢٣.

١٥) عجينة، بوراوي، "محمد صالح الجابري: أحد أعلام الواقعية والرواية الواقعية الاجتماعية النقدية في تونس"، مجلة القصص، ٢٠٠٩.

١٦) غويسم، محمد إسلام؛ حليس، عبد الرحمان، إسهامات المثقفين الجزائريين في الحياة الفكرية والثقافية في تونس ١٩٠٠-١٩٥٤، مذكرة ماستر، جامعة زيان عاشور، ٢٠٢٤-٢٠٢٥.

١٧) فضلاء، محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، الجزائر، ٢٠١٤.

١٨) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩.

١٩) قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩١.
٢٠) مناصرية، يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي ١٩١٩-١٩٣٤م، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٩.
٢١) ولد خليفة، محمد العربي، الاحتلال الاستيطاني، منشورات تالة، الجزائر، ٢٠٠٥.
٢٢) نعمان، ناجي، المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، دار نعمان للثقافة، بيروت، ١٩٩٠.

رابعًا: المجلات والدوريات:

١) أوفة، سليم، "الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة ١٨٤٨-١٩١٤م"، مجلة قضايا تاريخية، العدد ٠١، ٢٠١٦.
٢) بدون، غانم، "مساهمة الأمير خالد في بناء الحياة السياسية في الجزائر ١٩١٩-١٩٢٤"، مجلة قضايا تاريخية، العدد ٠٣، ٢٠١٦.
٣) بوصيقع، سامية، "أهمية الرحلات في الكتابات التاريخية"، المجلة العربية المتخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والأبحاث الإبستمولوجية، المجلد ٥، العدد ١٣، ٢٠٢٠.
٤) حفظ الله، محمد، "الأوضاع العامة في الجزائر خلال الفترة ١٨٤٧-١٩٥٤ وعلاقتها بنشأة الصحافة"، مجلة المعيار، المجلد ٢٧، العدد ٢، ٢٠٢٣.
٥) صيود، هادية، "أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح"، مجلة عصور الجديدة، المجلد ٨، العدد ١، ٢٠١٧-٢٠١٨.
٦) قاسي إلياس، نايت؛ عبد الستار، حسين، "واقع الجزائر فيما بين ١٩٢٧-١٩٣٠"، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، المجلد ١٢، العدد ٠٢، ٢٠٢٠.

خامسًا: المعاجم والقواميس:

١) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، مج٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٢) وجدي، فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مج٤، د.ت.
٣) وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.

٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الرياض، ٢٠١٠.

فهرس المحتويات	الصفحة
الاهداء والشكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ – هـ
الفصل التمهيدي: (المدخل التمهيدي): الاوضاع العامة في الجزائر وتونس والاطار النظري للرحلة ١٩٠٠_١٩٣٢م	
المبحث الأول: الاطار العام للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لتونس والجزائر خلال اوائل القرن العشرين	
المطلب الأول: الاوضاع العامة في الجزائر ١٩٠٠_١٩٣٢م	٠٩
المطلب الثاني: الاوضاع العامة في تونس ١٩٠٠_١٩٣٢م	١٢
المبحث الثاني: مفهوم الرحلة واهميتها في الدراسات التاريخية	
المطلب الأول: الرحلة كمفهوم واداة معرفية	١٨
المطلب الثاني: اهمية ادب الرحلات والرحلة كمصدر من مصادر التاريخ	٢٢
الفصل الثاني: محمد صالح الجابري وكتابه خمس رحلات الى الجزائر	
المبحث الأول: نبذة عن حياة محمد صالح الجابري ومسارة الادبي:	
المطلب الأول: مولده ، نشأته ، ومساره العلمي	٢٧
المطلب الثاني: مؤلفاته وانتاجه الفكري	٢٨
المبحث الثاني: دراسة كتاب خمس رحلات الى الجزائر	
المطلب الأول: القراءة الخارجية للكتاب_ الاطار التاريخي وسياق التأليف	٣١
المطلب الثاني: القراءة الداخلية للكتاب _ تحليل المضمون والبنية	٣٤
الفصل الثالث: صورة الجزائر الاجتماعية والثقافية في نظر محمد صالح الجابري	
المبحث الاول : مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر	
المطلب الاول: الواقع الاجتماعي والعادات والتقاليد	٤٤
المطلب الثاني: صورة المرأة والمظاهر الثقافية	٤٦

المبحث الثاني : الحياة العلمية والعمرانية في الجزائر	
المطلب الاول: مظاهر التعليم والحياة الفكرية	٤٧
المطلب الثاني: وصف المدن الجزائرية وخصائصها	٤٩
المبحث الثالث : النخب الفكرية والسياسية في رؤية الرحالة	
المطلب الاول: اللقاء بالعلماء والمصلحين	٥٢
المطلب الثاني: الشخصيات السياسية وانعكاسها في الرحلات	٥٤
خاتمة	٥٧
الملاحق	٦١
قائمة المصادر والمراجع	٦٥
ملخص الدراسة	

الملخص باللغة العربية

تتناول هذه الدراسة شخصية محمد صالح الجابري، أحد أبرز الأدباء والمفكرين الجزائريين الذين أسهموا في إثراء الساحة الثقافية والأدبية الجزائرية خلال القرن العشرين. وتهدف إلى إبراز جوانب من حياته ومسيرته العلمية والأدبية، والتعريف بأهم أعماله وإسهاماته في خدمة الأدب الجزائري والتعريف به داخل الوطن وخارجه، خاصة من خلال مؤلفاته ودراساته النقدية. كما تسلط الضوء على دوره في توثيق الحركة الأدبية الجزائرية وإبراز جهود الأدباء الجزائريين في مختلف المراحل التاريخية. وقد خلصت الدراسة إلى أن محمد صالح الجابري يعد من الأسماء البارزة التي تركت أثرًا واضحًا في مسار الأدب الجزائري، من خلال إنتاجه الأدبي والفكري وإسهاماته في التعريف بالثقافة الجزائرية والدفاع عن مقوماتها الحضارية.

Summary

This study examines the life and intellectual contributions of Mohammed Salah Al-Jabri, one of the prominent Algerian writers and thinkers who played an important role in enriching Algerian cultural and literary life during the twentieth century. The study aims to highlight the main stages of his life, present his most significant literary and critical works, and shed light on his efforts to promote Algerian literature both nationally and internationally. It also focuses on his contribution to documenting the development of Algerian literary movements and emphasizing the role of Algerian writers in different historical periods. The study concludes that Mohammed Salah Al-Jabri occupies a distinguished place in Algerian literary history due to his valuable intellectual and literary production and his continuous efforts to preserve and promote Algerian cultural heritage.

Résumé

Cette étude porte sur la personnalité de Mohammed Salah Al-Jabri, l'un des écrivains et penseurs algériens les plus importants ayant contribué à l'enrichissement de la vie culturelle et littéraire algérienne au cours du XXe siècle. Elle vise à mettre en lumière les différentes étapes de sa vie, à présenter ses principales œuvres littéraires et critiques, ainsi qu'à souligner son rôle dans la valorisation de la littérature algérienne à l'échelle nationale et internationale. L'étude s'intéresse également à sa contribution dans la documentation du mouvement littéraire algérien et à la mise en valeur des efforts des écrivains algériens à travers les différentes périodes historiques. Elle conclut que Mohammed Salah Al-Jabri occupe une place importante dans l'histoire de la littérature algérienne grâce à son riche héritage intellectuel et littéraire ainsi qu'à son engagement en faveur de la culture et de l'identité algériennes.